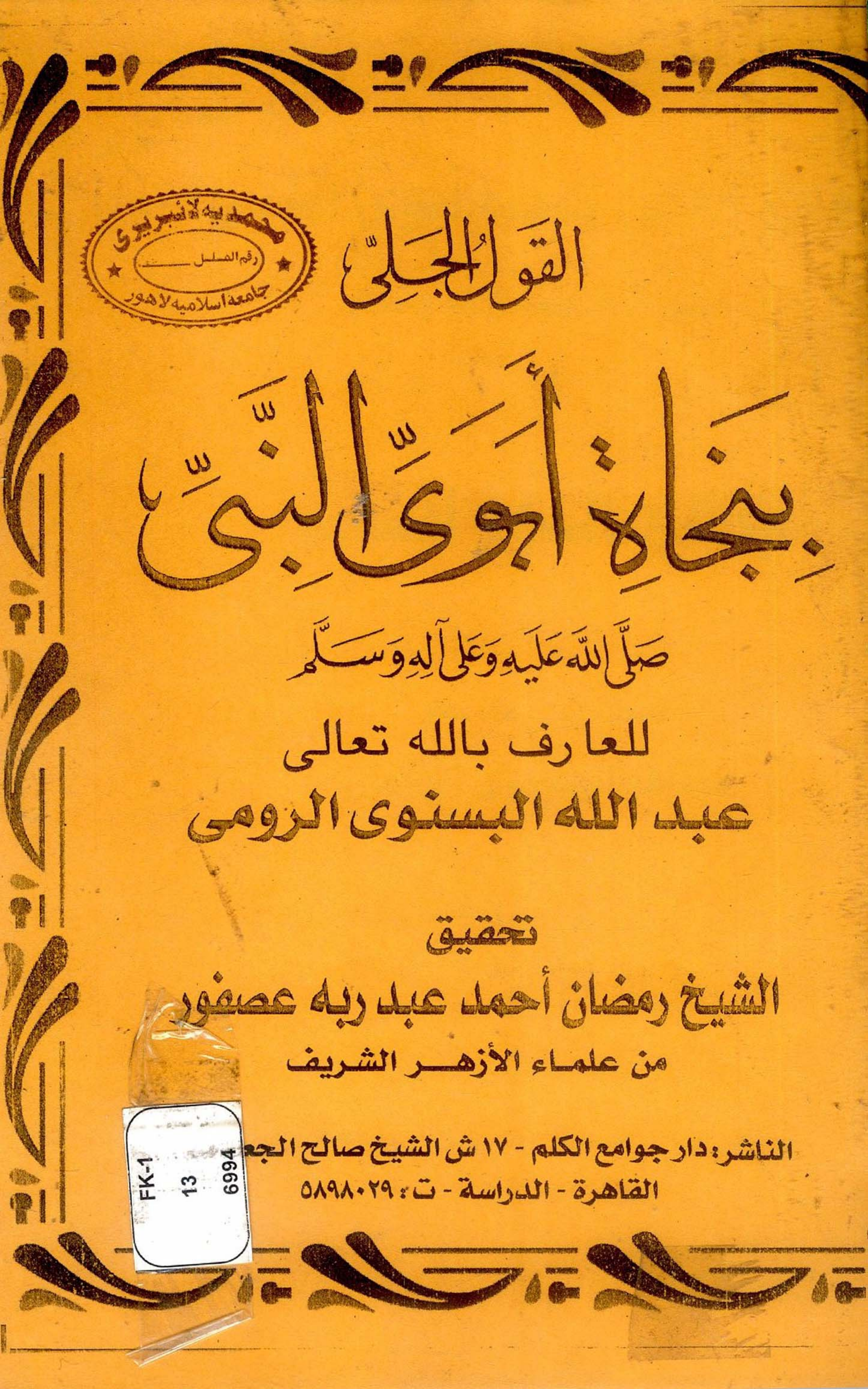

محمديه لائبريري
رقم المسلسل
جامعه اسلاميه لاهور
القول الجلى
بنجاة أبوى النبى
صلى الله عليه وعلى آله وسلم
للعارف بالله تعالى
عبد الله البسنوى الرومى
تحقيق
الشيخ رمضان أحمد عبد ربه عصفور
من علماء الأزهر الشريف
FK-1
13
6994
الناشر: دار جوامع الكلم - ١٧ ش الشيخ صالح الجع
القاهرة - الدراسة - ت: ٥٨٩٨٠٢٩

القول الجلى بنجاة أبوى النبى
صلى الله عليه وآله وسلم
أو
مطالع النور السنى

تأليف العارف بالله تعالى

عبدالله البسنوى الرومى

تقديم وتعليق وتعقيب

رمضان أحمد عبدربه عصفور

الناشر : دار جوامع الكلم - ١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى
الدراسة - القاهرة - ت : ٥٨٩٨٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨]

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ١٥]

قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – :

﴿ لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات ﴾

[رواه أحمد والترمذى والطبرانى]

سيدى يا رسول الله

هذه شهادة ثقات علماء أمتك بإسلام أبويك ونجاتهما

ولسوف يعطيك ربك فترضى

وأنت رحمة للعالمين اللهم أبعثهما من الآمنين إرضاء لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم الطيبين الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــــــديم

هذا الكتاب

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . أنار الوجود بسيد الوجـــود . وكساه من حلل الكرم والجود. وأفاض عليه فى مقام الحبيب المحبوب فكان رحمة للعالمين. والشفيع عنده للمذنبين فوعده ربه (ولسوف يعطيك ربك فترضـــى) وأخذ له من سائر إخوانه النبيين والمرســلين العهــد والميثــاق (لتــؤمنن بـــه ولتنصرنه).

فى عالم الغيب كان أول العابدين المسبحين. وفى عالم الشهود آخر المرسلين وخاتم النبيين فكان السابقون عليه فى عالم الشهادة به مبشرين (ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) فهو الأول فى عالم الغيب . وهــو الآخــر فى عــالم الشهادة . خلق الله حقيقته قبل حقائق الأشياء ففتق به الوجود من العدم. وأقامه فى مقام القرب يحمد ربه ويسبحه ما شاء الله له فكان عندما قال الله لخلقه مــن بنى آدم (ألست بربكم). فكان سيدنا محمد – صلى الله عليه وآلــه وســلم – أول من قال بلى. فحباه ربه عز وجل بخير أمة أخرجت للناس تأمر بـــالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصــحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعـــــــــد :

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين من أعلى سلالات بنى آدم وأغلاها ومن أنضرها وأبهاها. ومن أطهرها وأزكاها. إنهم جميعاً جاءوا من الاصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة وليس فيهم نبى أو رسول جاء من خبث أو نجس. فهذه حقيقة لا ينازع فيها إلا كل جاهل أو حاقد. وهو أمر مقرر فى الإسلام تحدث بد القرآن وتحدثت عنه السنة الشريفة.

قال الله تعالى : (والطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات).

وقال عز وجل : (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا).

وقال سبحانه : (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد).

قالها لسيدنا إبراهيم ولزوجه ولذريته من بعده إلى قيام الساعة وقال عز وجل : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

وأخرج مسلم والترمذى وصححه عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم).

وروى البزار فى مسنده عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – قال: دخل ناس من قريش على صفية بنت عبدالمطلب. فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية ، فقالت صفية : منا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فقالوا : تنبت النخلة أو الشجرة فى الأرض الكبا – أى الكناسة – فذكرت ذلك صفية

– رضى الله تعالى عنها – لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فغضب وأمر بلالا فنادى فى الناس. فقام على المنبر فقال : أيها الناس من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله.

قال : أنسبونى. قالوا : محمد بن عبدالله بن عبد المطلب.

قال : (فما بال أقوام يترلون أصلى . فوالله إنى لأفضلهم أصلا وخيرهم موضعا).

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث قال : بلغ النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – أن قوما نالوا منه فقالوا إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت فى كناس. فغضب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وقال : (إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين ، فجعلنى فى خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلا ، ثم جعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا ، ثم قال : أنا خيركم قبيلا وخيركم بيتا).

وأخرج الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى دلائل النبوة عن عائشة – رضى الله تعالى عنها – قالت : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : (قال لى جبريل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد. ولم أجد فى بنى أب أفضل من بنى هاشم).

قال الحافظ ابن حجر فى أماليه : لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن (أى الحديث).

وقال الإمام السيوطى : ومن المعلوم أن الخيرية والإصطفاء والاختيار من الله. والأفضلية عنده لا تكون مع الشرك. أ ، هـ

إن أبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – عاشا مسلمين وماتا مسلمين. لأنهما من ذرية إبراهيم عليه السلام ممن شملهم دعاءه (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك).

كما أنهما من أهل الفترة وأهل الفترة ناجون (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا).

وروى فى الحديث : (أهل الفترة ناجون). وهو ما أجمع عليه علماء العقيدة والفقهاء والمفسرون والمحدثون.

ولذلك قال بنجاتهما جمع من العلماء ، وسكت الآخرون عن الكلام فى هذا الموضوع إهمالا وليس اعتقادا. قال الإمام المحقق أحمد بن حجر الهيتمى رحمه الله تعالى فى المنح :

إن آباء النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – غير الأنبياء – وأمهاته إلى آدم وحواء ، ليس فيهم كافر . لأن الكافر لا يقال : إنه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما فى آية (إنما المشركون نجس).

وقد صرحت الأحاديث السابقة بأنهم مختارون وأن الآباء كرام والأمهات طاهرات. وأيضا فهم إلى اسماعيل – عليه السلام – كانوا من أهل الفترة ، وهم فى حكم المسلمين بنص الآية الآتية . وكذا من بين كل رسولين ، وأيضا قال تعالى : (وتقلبك فى الساجدين) على أحد التفاسير فيه وأن المراد تنقل نوره من ساجد إلى ساجد.

ولذا أجمع أهل الكتابين على أن (آزر) عم إبراهيم عليه السلام – واسم أبيه (تارح)كآدم. أو تيرح أو غير ذلك كما سيأتى. وحملوا قوله تعالى :

(وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) على المجاز ، والعرب تسمى العم أبا . وقد جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (وإله أبائك إبراهيم واسماعيل) مع أنه عم يعقوب . بل لو لم يجمعوا على ذلك. وجب تأويله بهذا جمعا بين الأحاديث . فمن أخذ بظاهر الآية كالبيضاوى وغيره فقد تساهل واستروح قال : وحينئذ . فهذا صريح فى أن أبوى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - السيدة آمنة وسيدى عبدالله من أهل الجنة لأنهما أقرب المختارين له - صلى الله عليه وآله وسلم - وهذا هو الحق بل فى حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه : (أن الله تعالى أحياهما فآمنا به) خصوصية لهما أ . هـ.

وقال خاتمة المحققين : التقى الصالح الشيخ إبراهيم خليل اليمنى الزبيدى فى كتابه (المنهج الأعدل فى شرح مولد الأهدل)[1] أقول : وقد نصر هذا القول وأيده غير واحد من الجهابذة النقاد كالتقى السبكى والجلال السيوطى وغيرهما فلا مرية فى حقيقته أ. هـ

وقال الشيخ جعفر البرزنجى معلقا على قول ابن حجر الهيثمى :

وممن نصر هذا القول الإمام المحقق والسهام المدقق مجدد المائة الحادى عشرة جدنا المرحوم السيد محمد البرزنجى وألف فيه رسالة سماها (سِدَاد الدِّين وسِدَاد الدَّين فى إثبات النجاة والدرجات للوالدين)[2] وهى تزيد على نحو خمس عشرة كراسة وأتى فيها بما يشفى قلب الحبيب ويقصم ظهر المعاند الغضيب.

---

(١) الأهدل : من علماء اليمن.

(٢) طبعة مكتبة دار جوامع الكلم.

قال : وقد قال بنجاتهما جمع كثير وجم غفير ممن جمع بين الحديث والفقه والأصول كابن العربي وابن شاهين وابن المنير وابن ناصر الدمشقى والإمام الفخر الرازى والسبكى والقرطبى والآبى والمحب الطبرى وابن سيد الناس والشريف المناوى ونقله سبط ابن الجوزى فى كتابه (مرآة الزمان) عن جماعة. والحافظ ابن حجر العسقلانى والإمام حافظ الدين الحنفى صاحب جامع السلوك فى شرح مناقب الإمام أبى حنيفة – رضى الله تعالى عنه –.

قال : وممن استهتر بهذه المسألة : خاتمة الحفاظ الإمام المجتهد مجدد المائة التاسعة أبو الفضل جلال الدين السيوطى . فإنه ألف فى المسألة : خمس تأليفات. وبسط القول فيها والإمام العلامة المحقق شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى المكى. فإنه بسط القول فيها بعض البسط فى النعمة الكبرى ، وفى الفتاوى ، وفى شرح الهمزية ، وأتى فيها بالعجب العجاب أ . هـ

وللعارف بالله العلامة الشيخ عبدالله البسنوى الرومى شارح فصوص الحكم لابن عربى والمتوفى سنة ١٠٥٤هـ[1] كتابا قيما سماه (مطالع النور السنى عن طهارة النسب العربى) وهو من أجل الكتب المؤلفة فى شئون النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – وأدلها على جلالة مؤلفه ومعرفته بعلو قدره عليه الصلاة والسلام. وقد أثبت فيه بالحجة والأسانيد والأدلة القاطعة على إيمان أبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – السيد عبدالله والسيدة آمنة ، وأنهما ناجيان ومن أهل الجنة إذ هما من المسلمين الذين أخبر الله بالآيات عن دعوة إبراهيم عند رفعه القواعد من البيت وشهد بها فى حق إبراهيم وبالآيات الدالة على بقاء

---

(١) من الأتراك المستعربين تولى القضاء بحلب.

ملة إبراهيم فى ذريته وعدم اندراسها إلى بعثة سيدنا محمد- صلى الله عليه وآله وسلم -.

ثم استدل بالأحاديث التى دلت على طهارة نسبه - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى آدم عليه الصلاة والسلام وقد دافع عن صحة حديث إحياء أبويه وإيمانهما به - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم رد على المخالفين ودحض حجتهم. وقد نسخناه من كتاب جواهر البحار للنبهانى (ثلاث طبعات) ثم أرجعنا نصوصه من مصادرها ولما كثر القول فى هذه الأيام بين المتعالمين من دعاة العلم بأحكام الإسلام وانتشر بينهم الكلام حول أبوى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - . وأنهما مشركين وغير ناجيين !!!

ولما كان فى هذا الكلام إيذاء لله ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - كما أنه مخالف لما قال به الثقات من العلماء والأئمة. رأيت من الأصوب إعداد هذا الكتاب والتعليق عليه والتقديم له والتعقيب عليه ونشره بين المسلمين. لأنه كتاب مفيد فى بابه كثيرا ويغنى عن غيره من الكتب والرسائل المؤلفة فى هذا الموضوع وغيره لا يغنى عنه.

وقد بوبه المؤلف فى تسعة مطالع وختمه بوصية بحث فيه هذه القضية مراعاة لحق رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ومعرفة بقدره وعلو شأنه.

وسيرى القارئ الكريم عند مطالعته لهذا الكتاب أنه يجب على المسلم ضرورة الأدب مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قولا وفعلا واعتقادا.

وسيعلم أن الأصوب هو القول بأن أبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – ناجيان ومن أهل الجنة. وأن فى القول بغير ذلك إيذاء لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –.

(إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا).

ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه وأمه – صلى الله عليه وآله وسلم– إنهما من أهل النار.

أرجو من الله تعالى أن ينفع به كل من قرأه وأن يجعلنا والقارئين ممن يشفع فيهم سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وأن يبعثنا معا من الآمنين. إنه الفاعل لذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

تقديم

رمضان أحمد عبد ربه عصفور

كبير الأئمة بوزارة الأوقاف

إمام وخطيب مسجد السيد نفيسة

رضى الله تعالى عنها

سابقا

القاهرة فى :

٢٦/ شوال / ١٤٢٥هـ

٧ / ١٢/ ٢٠٠٤م

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى أراد أن يفتق الرتق[1] المختص بحضرة العماء والأسماء ويفتح حضرات الكرم والجود وخزائن الآلاء والنعماء. ويظهر الأعيان الغيبية فى الصور الحسية لحصول كمال الجلاء والاستجلاء وإظهار الأمور المخبوءة فى خزائن الأسماء ، والأحوال المكنونة فى حقائق الأشياء ، فخلق نور نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – قبل خلق جميع الأشياء فى صورة الدرة البيضاء وخلق منه أنوار السفراء . وأرواح جميع الأنبياء وجعله أبا وأصلا لجميع التعينات من العقل الأول إلى آخر مراتب الإيجاد والإنشاء ، فكان صفاء أبائه فى التسوية والاستعداد بالنسبة إلى ظهوره وتعينه فيهم كصفاء الزجاجة وصفاء الصهباء ، فسبحان من أضاء حقائق الممكنات فى الغيب المجهول بالدرة البيضاء التى استخرجها من خزانة الغيب على صورة البدر فى الليلة الظلماء فأفاض من نورها على الأشياء المعدومة فى ظلمة الغيب. فظهرت فيه كأنجم الجوزاء . الذى جعله نبيا فى حضرات الأسماء وعوالم الأرواح فى اسم الباطن . وآدم كان منجدلا بين الطين والماء.

فلما استدار الزمان بإنتهاء مدته بالإسم الباطن فى نوبة الميزان الذى هو أعدل البروج فى الفلك الأطلس فى إبقاء الأمور والإعطاء ، كما استدار من قبل فى نوبة سائر البروج المعهودة كالسنبلة والجوزاء ، وابتدأ بدورة أخرى بالإسم الظاهر لإظهار جسم محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – بمعالم الأسماء ومنازل

---

(١) أى يفصل الوجود من العدم ، وذلك بالخلق والإيجاد بالقدرة حسب مشيئته تعالى.

الآلاء ، فى عالم الشهادة الذى هو أجمع جميع العوالم ومحل نزول الآيات والأنباء ، وتوقف ظهوره فى الوجود الحسى البشرى على الأسباب المعدات من الأمهات والآباء.

جعل الله أصلاب الآباء على الترتيب الذى وقع فى الوجود كالمنازل للوصول إلى حضرة الحس مرتبة الاستكمال بين الإفناء والإبقاء. فوجه ذلك النور الأبهر والروح الأنور إلى عالم التفصيل عالم التخطيط والتركيب والأجزاء مستودعا فى لب الروح المنفوخ فى آدم الخلفاء. محفوظا بأصداف الأصلاب الطاهرة والأرحام الطيبة على مقتضى الحكمة البالغة فى الإنشاء . لكونه لب الألباب وصورة سر رب الأرباب فى حضرة البطون والإخفاء . فتعين فى كل أب من الأباء على حسب التسوية فيهم والهوية والألقاء. وظهر فى كل صلب من الأصلاب مندرجا فى الظهور بحسب الطهارة والنزاهة فيها عن الأوصاف السلفية والأهواء.

كما قال – صلى الله عليه وآله وسلم – : (لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة)[1].

مصفى مهذبا إلى رتبة الأنباء ، فكلما إزدادت التسوية فى الأصلاب أدت فيه قوة الخروج إلى مفازة الحس والإفشاء. وكلما ازدادت فيه قوة الخروج والظهور وانشقت عنه قشور الأصلاب كاللوز من القشرة الخضراء، قرب طلوع ذلك النور الأسنى بالغرة البيضاء والشريعة الغراء التى

---

(١) ذكره الإمام السيوطى فى الحاوى للفتاوى ج٢ ، ص : ٢١٠ بلفظ : (لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات).

[illegible] حتى يخرج عدم الإمكان والأرجاء وأنارت قلوب أهــل الاصـــطفاء بصنوف الفيوض والآلاء. التى عزت عن العد والإحصاء . محمد الـــذى خلــق روحه من نوره ، وأقامه اثنتى عشرة ألف سنة قدام الحضرة فى مقام القرب مـــن الحضرة والإلجاء. فظهر وتجلى لأهل القرب والتمكين بالحلة الحمـــراء . مثــل العروس العذراء فى الربوة الخضراء بوجه يدهش لمعانه عقول العالمين . ويأخــذ شعاعه عيون الحور العين.

ورباه فى قضاء عالم القدس ومفازة حظيرة الأنس والصفاء. بألبان الفيـــوض وتجليات الجمال بالإفاضة من حضرة الجود والإلقاء. وخلق له فيه حجبا. وأقامه فى كل حجاب مدة معهودة بالتسبيح والتقديس على مقتضى الحكم والإمضاء. إلى أن تكاملت تلك النشأة الروحية النورية للخروج إلى مفازة الحـــس بـــأنوار الرحمة والإهداء[1].

وخلق جسمه الطيب الطاهر من أطهر الأعراق البشرية وأطيب الأنســـاب الاصطفائية الإنسانية وأنفس جواهر النطف الناشئة بين الأمهات والآباء ، الذى به فاق أبواه على سائر الآباء والأمهات من خيـــار القـــرون وكـــرام القبائـــل والأحياء[2].

---

(١) قال الله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء : ١٠٧ ، وقال عز وجل : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شـــهيدا . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا ســـجدا يبتغـــون فضلا من الله ورضوانا ....) الفتح : ٢٨ ، ٢٩.

(٢) أخرج مسلم والترمذى وصححه عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله – صلى=

وإن نبض أبي جهل بعدم القبول والإذعان فى وادى الحرمان ، عند سبل النكران مثل البقلة الحمقاء فسبق – صلى الله عليه وآله وسلم – بالطهارة الذاتية. والنزاهة الأصلية فى حلبة المسابقة إلى حشرة الوحدة . وميدان الإسراء. وأمر فى رتبة الدعوة والأنباء بالعدل والإحسان ونهى عن المنكر فى حدود الإسلام والفحشاء – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وأصحابه الذين سلكوا على المحجة البيضاء ، وعطفوا عنان التوجه والعزيمة على الإبداء.

أما بعد : فاعلم أن روح سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم– لما كان مظهرا للجمع الأحدى الذاتي والرفق العماءاتي الأسمائى والصفاتي. وأراد الحق تعالى إظهار أسراره الغيبية المكنونة وأنوار صفاته وتجلياته المستجنة المخزونة. فى غيب الهوية به – صلى الله عليه وآله وسلم – قدمه على سائر التعينات العلمية والحقائق الغيبية. وجعله أصلا لجميع الحقائق الإلهية الأسمائية. والحقائق المظهرية الإمكانية فلما شاء الحق أن يظهر به جميع ما تنطوى عليه الحضرة الكلية الإلهية. من الكمالات الإلهية الإنسانية والأسرار الغيبية العلمية. ويفتح به أبواب حضرات الجودية. وخزائن الإعطاءات الغيبية الشهودية . وأراد أن يظهر صورته الروحية الغيبية فى الصورة الحسية العنصرية

= الله عليه وآله وسلم – : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم) وروى البيهقى عن أنس – رضى الله تعالى عنه – أن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : (ما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى فى خيرهما فأخرجت من أبوى فلم يصبنى شئ من عهر الجاهلية) دلائل النبوة.

البشرية قدر له الآباء والأمهات. بحسب الأزمان والأوقات . وجعلهم الوسائط والروابط لوجوده البشرى الكلى واصطفى أباه عبدالله. وأمه : آمنة. للأبوة والأمومة فى آخر المراتب الاستقرارية والاستعدادية له – صلى الله عليه وآله وسلم – باختصاصه بهما واختصاصهما به من جهة طهارتهما ومناسبتهما بحسب تعلق علمه وإرادته. وحسب استعدادهما الذاتى فإن حصول الزوجية بين الزوجين وخلق الإنسان بينهما من نطفة وحمل الأنثى من ذكر ووضعها حملها الإنسان لا يكون إلا بإذن الله وإرادته.

كما قال تعالى : (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) [فاطر : ١١].

ولاسيما خلق نبيه الذى جعله سببا لمعرفته وشهوده بين أبويه لا يكون إلا قصدا له تعالى. فلو كانت المناسبة فى زوجين آخرين فى الإمكان أكثر وأوفق لما أراد الحق من ذلك النور الأبهر. والضياء الأسنى الأطهر. لقدرهما فى الأزل أن يكونا أبوين له – صلى الله عليه وآله وسلم –. وخلقه بينهما من مائهما لأنه لا تحجير على الله. لأن الله تعالى إنما خلق العالم كله أعلاه وأسفله له – صلى الله عليه وآله وسلم – فما يترله فى محل إلا ما يقتضيه حكمته وتتعلق به إرادته وما يمر به عن عالم إلا تقتضيه طهارة سره وروحه ولا سيما تعين مادته الجسمانية إنما وقع على حسب طهارة أبويه ونزاهتهما.

وقد زلت قدم بعض الناس قديما وحديثا فى نسبة أبويه – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى الشرك ووقعوا فى بئر الغواية والإفك . لأن الولد بضعة من الأب.

كما قال – صلى الله عليه وآله وسلم – فى ابنته فاطمة : (إنما فاطمة بعضة منى)[1].

وقد كان الكمل من السلف واقفين عند باب الربوبية بالعبودية معرضين عن عالم الخلق والكثرة والأئمة من المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين– إنما صرفوا أوقاتهم لإحياء الحق والدين بعد بعثة سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – وما يجب عليهم . فما التفتوا إلى ما لا يعنيهم بالجواب والرد على من أنكر طهارة نسبه – صلى الله عليه وآله وسلم – إلا قيل منهم.

وقد وفقنى الله تعالى لإثبات دين إبراهيم عليه السلام وبقائه وبقاء الأمة المسلمة من ذريته إلى بعثة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – وإثبات طهارة نسبه – صلى الله عليه وآله وسلم – بالآيات التى أنزلها الله على قلبه. فشهد بعضها على ذلك ونص بعضها وأخبر بعضها فكتبت هذا الكتاب ورتبته على تسع مطالع.

المطلع الأول : فى انبعاث الروح المحمدى من الجمع الذاتى الأحدى إلى الصورة الكمالية الإنسانية والهيئة البشرية الحسية الشهادية.

المطلع الثانى : فى ثبوت إسلام أبويه بالآيات التى أخبر الله بها عن دعوة إبراهيم عند رفعه القواعد من البيت وشهد بها فى حق إبراهيم.

المطلع الثالث : فى الآيات التى دلت على بقاء ملة إبراهيم فى ذريته وعدم اندراسها إلى بعثة سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم –.

---

(١) روى البخارى أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : (فإنما فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها).

المطلع الرابع : فى الأحاديث التى دلت على طهارة نسبة صلى الله عليه وآله وسلم – إلى آدم عليه الصلاة والسلام.

المطلع الخامس : فى إحياء أبوية وإيمانهما به – صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلع السادس : فى الرد على من استدل بحديث مسلم على أنهما فى النار وعدم جواز الحكم به على ذلك.

المطلع السابع : فى بيان الفترة وبيان أهلها وانقسامهم إلى أقسام.

المطلع الثامن : فى بيان من بقى على إبراهيم فى الفترة.

المطلع التاسع : فى عدم التعذيب لمن مات فى الفترة.

وسميته (مطالع النور السنى المنبىء عن طهارة نسب النبى العربى – صلى الله عليه وآله وسلم – وبالله تعالى التوفيق.

* *

المطلع الأول

فى انبعاث الروح المحمدى من الجمع الذاتى إلى الصورة الكمالية الإنسانية والهيئة البشرية الحسية الشهادية

اعلم أن الحق تعالى لما أراد أن يعرف من حيث ظهور آثار الأسماء الإلهية. وتجليها من حضرة الألوهية. خلق أولا الروح المحمدى على الصورة الجمعية. ثم منه جميع العوالم العلوية الروحية العقلية. والعوالم السفلية الخلقية العنصرية. إلى خاتم الصور النوعية الكونية وهو آدم عليه السلام . كما روى عن جابر بن عبدالله الأنصارى – رضى الله تعالى عنه – أنه قال :

* سألت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – عن أول شئ خلقه الله. قال : (هو نور نبيك يا جابر. خلقه من نوره[1]. ثم خلق منه كل خير. وخلق بعده كل شئ. وحين خلقه أقامه قدامه فى مقام القرب إثنى عشر ألف سنة. ثم جعله أربعة أقسام : خلق العرش من قسم . والكرسى من قسم. وحملة العرش وخزانة الكرسى من قسم. وأقام القسم الرابع فى مقام الحب إثنى عشر ألف سنة. ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء، وخلق القمر والكواكب من جزء ، وأقام الجزء الرابع فى مقام الرجاء اثنى عشر

---

(١) من نوره : ليس المقصود هنا نور الله بل هو نور خلقه الله تعالى ، قال تعالى : (ليس كمثله شئ) أما المقصود من نوره أو نورى فإن الله تعالى قالها بصفة الملكية فهو مالك هذا النور كقول أحدنا هذا قلمى أو هذا كتابى..

ألف سنة . ثم جعله أربعة أجزاء. فخلق العقل من جزء والحلم والعلم من جزء. والعصمة والتوفيق من جزء. وأقام الجزء الرابع فى مقام الحياء إثنى عشر ألف سنة. ثم نظر الله سبحانه وتعالى إليه فترشح النور عرقا. فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفا وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة نبيا أو رسولا. ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة فالعرش والكرسى من نورى ، والكروبيون من نورى . والروحانيون من الملائكة من نورى وملائكة السموات السبع من نورى والجنة وما فيها من النعيم من نورى والشمس والقمر والكواكب من نورى والعقل والعلم والتوفيق من نورى وأرواح الأنبياء والرسل من نورى ، والشهداء والصالحون من نتائج نورى. ثم خلق الله تعالى إثنى عشر ألف حجاب. فاقام النور وهو الجزء الرابع فى كل حجاب ألف سنة، وهى مقامات العبودية . وهى حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين. فعبدَ الله ذلك النور فى كل حجاب ألف سنة ، فلما خرج النور من الحجب ، ركبه الله تعالى فى الأرض وكان يضئ منه ما كان بين المشرق والمغرب كالسراج فى الليل المظلم. ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور فى الجبهة من جبهته حيث سجدت له الملائكة الكرام . ثم انتقل منه إلى شيث . ومنه إلى إدريس وهكذا كان ينتقل من طاهر إلى طيب ، ومن طيب إلى طاهر إلى أن أوصله إلى صلب عبدالله بن عبدالمطلب . ومنه إلى رحم آمنة. ثم أخرجنى إلى الدنيا ، فجعلنى سيد المرسلين وخاتم النبيين. ورحمة العالمين وقائد الغر المحجلين . وهكذا كان بدء خلق نبيك يا

جابر) ذكره فى المنتقى[1] فتعين سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – فى كل واحدة من تلك الصور المخلوقة منه بحسبها مع كليته فى مرتبته التى تعين فيها أولاً . فلما خلق الله آدم . أى سوى طينته ونفخ فيه من روحه . كما قال الله تعالى : (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى) [الحجر : ٢٩] تعين فيه من روحه– صلى الله عليه وآله وسلم– على حسب تسويته ومظهريته . فكان آدم بجسمه وروحه مظهر الروح المحمدى الكلى بحسب قابليته . فظهر هو فيه بحسب مظهريته فلما توقف حصول المعرفة الإلهية على ظهور الروح المحمدى الذى هو جامع لجميع الحقائق الإلهية . وجميع الحقائق العلوية الروحية فى الصورة الطينية العنصرية البشرية والصورة الجمعية الكلية المحمدية . وكانت تلك الصورة فى غيوب أصلاب الآباء وبطون أرحام الأمهات فى صلب آدم كالنواة له فى مظهرية الروح المحمدى الكلى . توقف ذلك الظهور على حصول التسوية فى مادة تلك الصورة من الجهة التى تلى الظاهر والحس لا من الجهة التى تلى الباطن

---

(١) ورواه القطسلانى فى المواهب اللدنية (١/ ٧١ ، ٧٢) بسنده عن عبدالرزاق عن جابر بن عبدالله ورواه العلامة الشيخ أحمد الصاوى فى شرحه على الصلوات الدرديرية (٢٥ ، ٢٧) وقال ذكره شيخنا الشيخ سليمان الجمل فى أول شرحه على الشمائل عن سعدالدين التفتازانى فى شرح بردة المديح عند قوله : وكل آى أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم وذكره أيضا العارف بالله : النابلسى فى شرح تائية ابن الفارض فقال: كما ورد فى حديث عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله – رضى الله تعالى عنه – ثم ذكر الحديث ورواه ابن حجر الهيثمى فى مولده والبرزنجى أيضا ورواه أيضا العجلونى فى كشف الخفاء (١ / ٢١٠) وابن عربي والسمان القادرى وسبط ابن الجوزى والسبكى وغيرهم.

والغيب . كما وقفت التسوية فى طينة آدم لنفخ الروح فيه فقدر الله تعالى على مقتضى حكمته البالغة . وقدرته الكاملة فى تلك التسوية والمراتب والأطوار بحسب الأصلاب المعينة المعدودة . والأرحام المقدرة المعهودة فى صلب آدم . كما قدر من النطفة فى رحم المرأة أطواراً حيث قال : ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [المؤمنون : ١٤]

فجعل صلب آدم الذى هو كالقشرة لصلب ولده وللأصلاب التى فيه . ولتلك الصورة المحمدية التى هى كاللب لها محل التسوية لظهور الأصلاب التى فى صلبه وفى وقته .

فلما حصلت التسوية فى صلب آدم عليه السلام لظهور الصلب الذى هو كاللب له . وهو صاحب ولده . تعينت النطفة فيه وظهرت منه بحسب المحل والتسوية الإلهية فيه أى ظهرت بصورة زبدة أخلاقه وسيرته . ووقعت تلك النطفة هيولى ومحلا لظهور صورة الولد وصلبه . فكان صلب آدم كالقشر الذى انشق عن لبه . وكان ولده بالنسبة إليه كاللب وبالنسبة إلى الأصلاب التى فى صلبه وإلى الصورة المحمدية فيها التى هى لب اللب . كالقشر الصائن للبه . فتعينت المادة المحمدية فى ولده وصلبه بحسب المحل وتعين الروح المحمدى أيضاً فى تلك المادة بحسبها .

فباعتبار تعين مادته– صلى الله عليه وآله وسلم– فى أصلاب أبائه وكونه لبهم وتعين روحه فى صورهم . كان– صلى الله عليه وآله وسلم– عين

أبائه وعين النطفة فى أصلابهم . وإلى هذا أشار– صلى الله عليه وآلـه وسـلم– بقوله : (لم أزل أنتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة)

فلما حصلت التسوية فى ذلك الصلب لظهور الصلب الآخر فيه الـذى هو محل التسوية الأخرى أيضاً . ظهر ذلك الصلب فيه. فتعينت المادة المحمديـة فيه بحسبه تعينا زائدا على تعينها فى صلب أبيه كتعين الصورة الإنسانية فى صورة النطفة فى رحم الأنثى أولا ثم فى صورة علقة ثم فى صورة مضغة . ثم فى صـورة عظام . ثم فى صورة لحم إلى تعينها فى صورة البشرية الإنسانية التى تنتج الولادة. فكلما ازدادت التسوية فى النطف بارتفاع قشور الأصلاب عنها قرب ظهـور تلك الصورة والمادية المحمدية فجعل الله كل صلب من أصلاب الرجال من آبائه – صلى الله عليه وآله وسلم – على الترتيب الذى وقع فى الوجود محل طـور تلك التسوية على الوجه الذى يقتضى سلامة تلك المادة عن الإنحرافات من حيز الوسط ويقتضى حصول الاستعداد منها للانتقال إلى الطور الآخر والتقلـب فى الصلب الآخر الطاهر فيزيد على جميع الأصلاب التى عبر عليهـا. وخواصـها وكمالاتها وأسرارها هكذا مترقيا سالما مندرجا عارجـا بالأوصـاف الزائـدة والكمالات الحسية الوجودية إلى أن وصلت تلك المادة إلى آخر تلك الأطـوار فى التسوية وتلبسها بلباسه وهو العبودية المحضة التى تقتضى انفتـاح الصـورة المحمدية فيمن تحقق بها. وهو والده أبوه : عبدالله. المتصف بالعبوديـة المحضـة وتكاملت تلك النشأة الكلية والمادية المحمدية بحصولها فى صورة اقتضت العبودية الكاملة التى تقتضى انفتاخ الصورة الإلهية فيها فلما حصلت التسوية فى تلـك المادة لانتفاخ النطفة الطاهرة الطيبة بحسب [illegible]ل الطاهر الطيب الـتى تصـلح

لانتفاخ الصورة المحمدية. فيها نفخ الله تعالى فى تلك الصورة المسواة والمادة المستعدة روح النطفة الطاهرة فتعين فى الصلب الطاهر المطهر عن دنس الغيرية. والطاهر بصفات العبودية التى تطلبها حضرة الإلوهية والحقيقة الكلية المحمدية. وانفصلت منه فى وقت سعيد مع موافقته جميع الأسباب العلوية والسفلية إلى رحم أمه : آمنة من الانحرافات الطبيعية والصفات السفلية العائقة ومن طرف الإفراط والتفريط. فحفظها الله فى ذلك المحل الأطهر والوعاء الأصفى الأنور فى جميع الأطوار الرحمية. والمنازل الاستقرارية. ورباها على ما تقتضية الحكمة إلى أن تكاملت تلك النشأة وتمت التسوية الإلهية. ثم نفخ فيها الروح المحمدى والسر الأحدى الجمعى الذى يتوقف ظهوره وتعينه على تلك النشأة الكلية والتسوية الإلهية الجمعية (ثم أنشأناه خلقا آخر) [المؤمنون : ١٤] فولد فى وقت سعيد وظهرت به الصورة الجمعية الأسمائية. وانفتحت فيه النسخة القرآنية وحصل به الغرض الإلهى من بدء الإيجاد والخلق. لأنه ظهر الأصل فى صورة الفرع من النتيجة بسبب الإحاطة الكلية وصفة العبودية التى جاء بها من غير تعويق بشئ فى أصلاب الآباء ولا انحراف فى الأمهات والآباء لأن سيره كان على وتيرة واحدة على الطهارة الأصلية والنزاهة الذاتية فما عبر على شئ غير ملائم لما أراد الحق منه. وما عوق فى الطريق بشئ لا يوافقه ولا يساعده فى الظهور بهذه الصورة المحمدية والجمعية الذاتية والرحمة الإلهية. فإن الحكيم الذى أراد ذلك الظهور وحكم به فى الأزل. وقضى لا راد لقضائه ولا مانع لحكمه. لأنه لا تحجير فى القدرة الإلهية . فإنه لو عبر على شئ يخالف طهارته لأثر ذلك الشئ فيه لا محالة. لأن كينونة كل شئ إنما تكون بحسب المحل ولا سيما فى حالة

الوقاع. لأن الولد لا يظهر إلا بصورة والديه لأنه صورة سرهما ولاسيما فى حالة الوقاع. كما قال – صلى الله عليه وآله وسلم – (الولد سر أبيه).

لأن مادة الولد فى صلب أبيه إنما تعينت أولا من رطوبته الغريزية وحرارته الطبيعية بل من زبدة جميع أخلاطه وصفاته وأخلاقه . فيكون صورة سر أبيه . فإذا انتقل إلى رحم أمه . تنضم إليه رطوبتها الغريزية وأخلاقها الطبيعية. فيتربى بتلك ويتغذى بدم طمثها بحسب أخلاقها وسيرتها وصفاتها وكدورتها. فلا يظهر المولد إلا بصورة سر والديه ولا تتعين له المادة الجسمانية إلا من جسمانيتهما بل تظهر سيرتهما بصورته.

فما تعينت مادة جسمانية نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – إلا من جسمانية أبويه وأخلاقهما وصفاتهما فلما ظهر – صلى الله عليه وآله وسلم – بالصورة الطيبة الطاهرة البشرية والقابلية الكلية الإحاطية التى اقتضت ظهور الحق وتجليه بالصورة الجمعية الأسمائية وحصول المعرفة الربانية والعبادة الإلهية التى لأجلها تعلقت الإرادة الذاتية بعالم الخلق. وتوجه الروح المحمدى إلى عالم الكثرة والفرق. وظهر به النسخة القرآنية التى اقتضت المعرفة التامة والعبادة الكلية . وصار هو رحمة لأعيان الممكنات. وحقائق الموجودات كلها وبالأسماء الإلهية المستكنة فى غيب الهوية. ظهرت طهارة أبويه ونزاهتهما من دنس الميل والالفتات إلى الغير. لأنهما كانا أصل خلقته وبشريته. فظهر هو بصورة الطهارة التى كانت فى نفسهما الطاهرة الطيبة وذاتهما المطهرة القدسية فلما ظهر – صلى الله عليه وآله وسلم – بالطهارة الأصلية والنزاهة الذاتية الكلية من غير تغير ولا انحراف على الصورة التى أرادها الحق تعالى أزلا لأجل الظهور والإظهار

لأجل المعرفة والعبادة.

عرف من طهارته طهارة أبويه . بل طهارة آبائه كلهم بحسب مراتبهم الوجودية لأن الله تعالى جعلهم كالمعدين لهذه الصورة المحمدية. لأن المعرفة الربانية والعبادة الإلهية إنما توقف حصولها على ما أرادها الحق على الصورة المحمدية الكمالية. وتوقف حصول هذه الصورة على كمال الإستعداد. فى الآباء بحسب مراتبهم فى الأخلاق. والتحقق بالصفات الكمالية كالتسليم والانقياد إلى الله. والعبودية المحضة التى تقتضى اضمحلال صفات العبد وذاته فى الأنوار الإلهية والتجليات الذاتية. ولهذا كملت التسوية لتلك المادة المحمدية عند وصولها إلى أبيه عبدالله. الذى تحقق بعبودية الله التى هى أكمل صفات العبد. إذ ليس للعبد فوق العبودية إلا الاستهلاك.

فلهذا قدر الله أزلا أن يكون أبا له – صلى الله عليه وآله وسلم – لأن الصورة المحمدية لا تظهر إلا من العبودية المحضة التى هى أكمل الصفات الكمالية الإنسانية.

فلهذا كان أبوه : عبدالله آخر آبائه. فما ولد إلا على الصورة الكمالية الكلية التى قدر الله ظهوره فيها وبها. وما ذلك إلا من جهة أبيه الذى هو أصله. وإلى هذا المعنى أشار – صلى الله عليه وآله وسلم – بقوله (الولد سر أبيه).

وهذه الطهارة لأبويه من جهة جسمانية. أى طهارتهما من طهارة جسمانيته وهذه المادة الجسمانية له – صلى الله عليه وآله وسلم – من جهة نسبه وعرقه من أبائه إلى آدم عليه السلام . لا من جهة الغذاء الذى تغذى به أبواه الذى نزل بحسب السلسلة الوجودية من العقل الأول إلى النبات إلى الحيوان إلى

الإنسان أى الغذاء الذى تغذى به أبواه.

فكان مادة جسمه – صلى الله عليه وآله وسلم – فى الصورة الإنسانية . فإنه لا حكم فيه لآبائه بل للموجودت التى عبر عليها ولا للوالدين الذين ولد بينهما. لأنه نزل على وتيرة واحدة فافهم!!

وأما من جهة روحانيته وروحه – صلى الله عليه وآله وسلم– فإن روحه أول مظهر من المظاهر النورية وأول مجلى من المجالى الإلهية. فهو مطلع الشمس الوترية ومشرق نور الصمدية. لا يتعين فى شئ إلا ويقلبه إلى وصفه. ولا يظهر فى مظهر. إلا وينصبغ ذلك المظهر بصبغة. إذ هو الكبريت الأحمر. والحجر المكرم الأنور. الذى يقلب ما جاوره من النحاس والأقرب إلى وصفه.

إلى هذا أشار بعض الكمل بقوله : (وللأرض من كأس الكرام نصيب).

فما مر – صلى الله عليه وآله وسلم – على صلب إلا وأثر فيه إذ كان هو مطرح هذا النور الإلهى والروح المحمدى فأبواه– صلى الله عليه وآله وسلم – كانا من أصفى مطالع هذه الشمس الصمدية. وأنور مشارق النور الفردية. شرفهما الله بما لم يشرف به أحدا من بنى آدم إذ خصهما بذلك الأمر الخطير فى علمه تعالى وقضائه. فظهر على ذلك الوصف فى العين. إذ بهما انفتحت الصورة الإلهية الأسمائية والنسخة الكمالية القرآنية.

ومنها فاضت الرحمة الرحمانية العامة لجميع الموجودات والمخلوقات السفلية.

فلما كان أبواه – صلى الله عليه وآله وسلم – على الوصف الذى يقتضى ظهوره بينهما على الصورة الكمالية التى قدر الله ظهوره بها وظهر هو بينهما على تلك الصورة من جهة طهارتهما التى تقتضى ظهوره بتلك الصورة بينهما

على ما يحبه الحق ويرضى. ورضى الله تعالى عنهما. لإظهارهما تلك الصورة على حسب إرادته ورضاه بالطهارة والنزاهة التى كانت محلا مستعدا لتعين تلك الصورة الكمالية المحمدية فيها ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

فصل

الصورة الكمالية المحمدية

اعلم أن المعرفة الإلهية والعبادة الربانية الذاتية لما توقفت على الصورة الكمالية المحمدية[1] والصورة الكلية الحسية البشرية التى تحتوى على الصورةالإلهية والأسمائية المؤثرة الفعالة فى الجمعية الأسمائية فى حضرة الوجوب. والصورة الخلقية المظهرية المؤثرة الانفعالية فى الجمعية الخلقية فى بقية الإمكان محل النقائص والعيوب.

وتوقف تحقق تلك الصورة فى حضرة الحس والشهادة على خلق الله تعالى آدم على الصورة الكلية الجميعة التى تجمع بين الصورة الإلهية الأسمائية

(١) قال الإمام جعفر بن محمد (الصادق) رضى الله تعالى عنهما : علم الله عجز خلقه عن طاعته. فعرفهم ذلك. لكى يعلموا أنهم لا ينالوا الصفوف خدمته فأقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم فى الصورة وألبسه من نعته الرأفة والرحمة. وأخرجه إلى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته. وموافقته موافقته فقال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال : (وما أرسالناك إلى رحمة للعالمين) فضائل النبى ومعرفة قدره ص : ٥٥.

الفعلية وبين الصورة المظهرية الخلقية الإنفعالية نفخه فيه من روحه من حضرة الألوهية والحقيقة المحمدية.

وعلى تحقق تلك الصورة الآدمية بحقائق الأسماء وفيوضها وتجلياتها وكونها مظهر لجميع الأسماء الإلهية. والصفات الربانية. وحقائق المظاهر الخلقية. وخواصها المودعة فيها وزبد كمالاتها التى تستدعيها الصورة الكمالية الآدمية.

خلق الله تعالى آدم على القابلية الكلية التى تجمع الصورة الإلهية الأسمائية والصورة الخلقية المظهرية. ونفخ فيه من روحه فظهرت فيه الصفات الإلهية ، وتجلت له الأسماء الوجودية واجتمعت فيه زبد جميع المظاهر الخلقية وخواصها وكمالاتها التى لزمت الخلقية ورتبة الخلافة عن الله فتحققت به الخلافة عن حضرة الإلوهية ، وحصلت الإفاضة للأسماء بتجليها فى مظاهره. وإظهارها آثارها وأحكامها وفيوضها فيها ، وحصلت الاستفاضة للمظاهر بقبولها ربوبيات جميع الأسماء وآثارها وأحكامها بحسب استعداداتها المختلفة. وحقائقها المتنوعة. فاجتمعت فى آدم الكمالات الأسمائية ، والكمالات المظهرية التى توقف حصولها فى آدم وتحققه بحقائقها وحصول الاستعداد الكلى فيه على الإضافة الكلية الجمعية من حضرة الجمع والوجود وينبوع الفيض والجود.

فلما كان محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – بجسمه وروحه ، روح الروح المنفوخ فى آدم وسره ولبه الذى يمده وكان آدم بمظهريته الكلية الجمعية الأسمائية كالبشرية والقشر الذى يحفظ . إذ كان الإمداد والإفاضة من اللب والحفظ والتربية والإظهار من القشر وأراد الحق للظهور الجمعى الأحدى الكلى، والشهود الأسمائى التفصيلى ، نقله من البطون إلى الظهور ، ومن

الكمون إلى السفور فجعل له فى بطون آدم منازل وأطوار للتنقل من السير الآدمى إلى رتبة الظهور البشرى ، على عدد الآباء المقدرة له فى علمه تعالى أزلا فى صلب آدم من أبيه عبدالله إلى آدم علي ما تقتضيه الحكمة الإلهية فى إظهار تلك الصورة المحمدية فى الصورة الحسية البشرية كما جعل للنطفة فى رحم المرأة أطوار ، كما قال تعالى : (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) [المؤمنون : ١٤].

إذ كان – صلى الله عليه وآله وسلم – فى الروح المنفوخ فى آدم كالإنسانية فى النفطة ، وبه حصول التسوية فى كل طور من الأطوار الرحمية لأجل الإنتقال من طور إلى طور بحيث يتوقف انتقاله من طور إلى حصول التسوية فيه. فكلما كملت التسوية فيه وقع الاتنقال . كما وقع الانتقال من طور النطفة عند تمام التسوية فيه إلى طور العلقة وظهوره فى صورة العلقة إلى آخر الأطوار الرحمية ، وهو ظهوره فى صورة البشر فلما كملت التسوية للمادة المحمدية فى آدم الذى هو بمنزلة الطور الأول من جهة الظاهر للظهور الكلى المحمدى لتحققها فى رتبة الخلافة وظهور كمالات الصورة الإلهية الأسمائية الفعلية. وكمالات الصورة الإمكانية المظهرية الانفعالية وآثارها وخواصها فيه عليه السلام . وحصول الإفاضة من خزائن الأسماء الاستفاضة والقبول من المظاهر وحقائق الأشياء وحصل لها الاستعداد للانتقال إلى طور آخر ، انتقلت تلك المادة المحمدية فى صورة نطفة آدم ، التى ظهرت وتعينت فى صلبه وخواص جميع الأسماء الإلهية وربوبيتها وفيوضها التى تحققت فى آدم ، وخواص جميع

الأشياء وصفاتها الكمالية الوجودية وزبدها وخلاصتها التى جمعتها الصورة الآدمية إلى رحم حواء. وبعد التربية الإلهية فى الأطوار الرحمية فى حواء إلى ظهورها فى الصورة البشرية فى رحمها ، ثم إلى ولادتها فى صورة ولده : شيث عليه السلام ، الذى هو بمنزلة الطور الثانى لظهور تلك المادة بالنسبة إلى الآباء المقدرة له – صلى الله عليه وآله وسلم – فى بنى آدم ، فتعينت المادة المحمدية فيه تعينا زائدا على تعينها فى أبيه آدم . وهكذا لم تزل تظهر من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة من شيث إلى إبراهيم بالكمالات الوجودية والصفات الكمالية التى تقتضى ظهور تلك المادة وتعينها بها وظهورها وتلبسها بالصفات الأخر الكمالية الإنسانية والإلهية التى تقتضى ظهور الصورة المحمدية البشرية فيها وارتفاع الظروف والقشور التى كانت محفوظة بها .

وأكمل تلك الصفات وأوفقها لذلك الظهور والانقياد إلى الله بالتجلى المفاض من الله إفناء الوجود بالله الذى عبر عنه بلسان الشرع بالإسلام فلهذا طلب إبراهيم عليه السلام ذلك الإسلام له ولذريته الذين هم آباؤه – صلى الله عليه وآله وسلم – لاختصاص ظهوره بمرتبة العبودية المحضة التى تقتضى الانقياد إلى الله ، لأنه عبد محض لاحظ له فى القيومية ، فمن توجه من البطون إلى الظهور لا يصل إلا بصفة العبودية والفقر إلى الله . وكذلك لم تزل المادة المحمدية تظهر من صلب إبراهيم وأصلاب ذريته بالصفات الكمالية الزائدة والاستعدادات الوجودية المكتسبة.

فلما كان الفقر الذاتى الذى هو صفة العبد المحضة المتصفة بالعبودية المحضة، مستقر النور المحمدى والسر الأحمدى الذى لا يتعين فيه غيره لأنه لا

يقبل التجزى ولا الغيرية.

وكان أقرب صفات العبد من الله لأنه ليس بينه وبين حضرة الألوهية حجاب ولا واسطة ولا قبلت عينه الثابتة وحقيقته المطلقة الوجود إلا به ، وما تعين روحه أولا إلا بصفة الفقر والعبودية المحضة ، توقف ظهور المادة المحمدية فى الصورة الحسية البشرية من آبائه على حصول الفقر الكلى فى الصفات الوجودية ، وحصول وصف العبودية المحضة التى تقتضى انقطاع العبد عن العالم واتصاله إلى الحق لأنه – صلى الله عليه وآله وسلم – بحقيقته كان مظهرا للجمع الأحدى ، ولا يظهر ذلك الجمع إلا فى المظهر الإنسانى الكمالى الذى فنى فى الله بوجوده وصفاته وذاته.

ولا يحصل هذا فى العالم التفصيلى إلا برجوع الأمر إلى الأصل الذى منه بدأ وصوله إليه ، وحكم الأصل فيه وعليه وهو الجمع الذاتى الأحدى والتعين الكلى المحمدى ، فلما حصل ذلك حكمت سلطنة الذروة العرشية وجعلت ثوبة الميزان الذى هو أعدل البروج فى الفلك الأطلس ، واقتضت إظهار الصورة المحمدية فى الاسم الظاهر فى الحضرة الحسية البشرية لاختصاصها بالثوبة الميزانية، والدولة الاعتدالية ، التى تعطى افاضة جميع الاسماء فى حضرة الوجوب حقوق التجليات على مظاهرها بحسب استعدادها وقابليتها ، وتعطى قبول المظاهر حقوقها المعينة بالموازين المقدرة من الاستعداد القابلية من الاسماء ، واستفاضتها واختصاص الميزان بإظهارها مع موافقة ربوبيات الأسماء الإلهية ، والأدوار الفلكية ، وحركات الكواكب وتوجهات جميع العوالم العلوية السماوية ، والعوالم السفلية الأرضية ، وقواها وخواصها وسائر الأسباب التى أودعها الله

بهذه الصورة الكلية المحمدية فى الحضرات الاسمائية ، والعوالم الروحانية والمثالية ، والخزائن المظهرية السفلية وجعلها كالمقدمات لتلك الصورة الكلية الكمالية ، فلما انتهت الانتقالات الصلبية ، والتحولات المادية المحمدية إلى غايتها ، وهى ظهورها بصورة أبيه : عبدالله بانتهائها إليه بالكمالات الاسمائية وخواص جميع الموجودات العلوية والسفلية وقواها وزبد أسرار الآباء وأخلاقهم وخلاصتها من آدم إلى عبدالله يستدعى اجتماعا فيه تحقق التسوية الكلية ، والقابلية الإحاطية فى المادة المحمدية ، وظهرت وتعينت فيه بصفة الانقياد الكلى والفقر الذاتى العينى والعبودية المحضة التى ليس فوقها وصف للعبد وحصلت فيه مادة تلك التسوية الكلية لانتفاخ الصورة المحمدية فيها فاقتضت تلك التسوية الغذاء المعتدل صورة وحكما ، فتجلى الحق لتلك المادة فى صورة الغذاء المعتدل ، وتناول عبدالله ذلك الغذاء بأحسن وجه وأسعد وقت ، فلما وقع الالتحام المعنوى والنكاح النمرى بين تلك المادة المستعدة والغذاء المعتدل ووقعت الاستحالة فى الغذاء بين أزدواج الغذاء بتلك المادة ، نفخ الله تعالى فى تلك المادة التامة التسوية روح النطفة الكلية الجامعة فى اعتدال زمانه ، فاستقرت فى صلبه، وتلبست بلباس المحل بالطيب الطاهر وظهرت بوصفه المبارك ونوره الباهر.

ولما كان بدء هذا الأمر من حضرة الجود والوهب ، اصطفى الله آمنة ابنة وهب، لهذا الأمر الجسيم وجعل رحمها صدفا لهذا الدر اليتيم لاختصاصها به واختصاصه بها لكمال طهارتها ونزاهتها وكمال استعدادها وجعل الزوجية بينهما.

فلما توجهت المحبة الأصلية الأزلية وحكمت المناسبة الكلية الذاتية فيها فى أكمل حالة وأجمع وجه وصح الاجتماع بينهما انتقلت النطفة الطيبة الطاهرة

والدرة اليتمية النورية المباركة من مرتبة الفردية التى تقتضيها عبودية عبدالله بالطهارة الأصلية والنزاهة الكلية فى صورة العبودية المحضة ، والوصف الغالب عليه فى حال الوقاع الذى يلائم ذاته المقدسة والمرتبة الكلية المحمدية إلى رحم آمنة الآمنة من الانحرافات الطبيعية.

الأمينة على تلك لأمانة الإلهية فى أيمن ساعة وأسعد طالع مع موافقته جميع الأسباب العلوية واجتماعها على تربية تلك النطفة الميمونة والدرة المكنونة ورعاية ذلك المزاج الأكمل الأعدل ، والوجه الأسلم الأجمع الأشمل على ما يعطيه الروح المحمدى الأقدس الأسنى والنور الأحمدى الأنفس الأصفى ، المسمى بالعقل الكلى والقلم الأعلى فى أكمل وقت وأسعد ساعة فلما اقتربت الساعة وانشق القمر ، وقرب طلوع الشمس من المغرب على ما قد جاء فى الخبر ولد – صلى الله عليه وآله وسلم – فى أيمن الأوقات وأجمل الحالات حسا ومعنى.

وأضاء بنوره عند ظهوره العالم كله شرقا وغربا كما أخبرت أمه آمنة عن ذلك عند ولادته فى حديث طويل(١).

---

(١) روى الإمام العارف بالله سيدى : أبو البركات أحمد الدرير رحمه الله تعالى فى (المولد الشريف) : قال : قالت آمنة : لما أخذنى الطلق ، ولم يعلم بى أحد لا ذكر ولا انثى وإنى لوحيدة فى المنزل وعبدالمطلب فى طوافه فسمعت وجبة عظيمة ، وأمرا عظيما هالنى ، ثم رأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب ، وكل وجع أجده ، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابنى نور عال ، ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف ، يحدقن بى فبينما أنا أتعجب وأقول : من أين علمن به ؟ فقلن لى : نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ، وهؤلاء من الحور العين ، فبينما أنا كذلك إذ بديباج= =أبيض قد مد بين السماء والأرض و إذا بقائل يقول : خذوه عن أعين الناظرين ، قالت ورأيت

ولما انتهى سيره – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى صورة البشرية وظهر فيه من روحه الكلى على حسب تلك الصورة العنصرية وأراد الحق بلوغ تلك الصورة الكلية الكمالية المحمدية التى توقف ظهور الروح المحمدى الإلهى عليها.

أخذ – صلى الله عليه وآله وسلم – يعــرج فى تكميل تلك الصورة

رجالا قد وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق من فضة ، ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلــت حتى غطت حجرتى ، ومناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما علــى ظهر الكعبة فأخذنى المخاض ، فوضعت محمداً – صلى الله عليه وآله وسلم – فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع اصبعه إلى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من الســماء حتى غشيته فغيبته عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحــار ليعرفوه باسمه وصورته ونعته ويعلموا أنه يسمى فيها الماحى لا يبقى شئ من الشرك إلا محى فى زمنه ثم انجلت عنه فى أسرع وقت. وفى رواية : أن آمنة قالت: لما فصل منى خرج معه نور أضاء له مــا بين المشرق والمغرب ، ثم وقع على الأرض معتمدا على يديه ، ثم أخذ قبضة من التراب وقبضــها ورفع رأسه إلى السماء ، أ ، هــ.

وذكر الشيخ : أبو عبدالله محمد بن أبى الفضل قاســم الرصــاع الأنصــارى التونســى : (ت ٨٩٤هــ) فى كتابه : (تذكرة المحبين فى شرح أسماء سيد المرسلين – صلى الله عليه وآله وســلم – قال : يروى أن أمه آمنة لما وضعته – صلى الله عليه وآله وسلم – قالت : رأيت سحابة عظيمة وسمعت صوتا يقول حين رفعوه عنى ، أعطوا محمدا أخلاق الأنبياء وأجمعوها له ، فخذوا لــه مــن آدم عليه السلام خلقه ، ومن شيث علمه ، ومن إبراهيم خلته، ومن إسماعيل كلامه ، ومــن داود صوته ، ومن أيوب صبره ، ومن عيسى زهده ، ومن نوح شكره ، ومن موســى قوتــه ، ومــن يوسف حسنه ، وخذوا من جميع أنبياء الله ورسله الكرام صفاتهم الكريمة وأخلاقهم العظيمة ، فقد جمع الله فيه صفات الكاملين وإن تفرقت فى أصفيائه ورسله وأنبيائه).

الكلية، بقطع مراتب البشرية وتحصيل القوى الجزئية المزاجية والقوى الكلية العقلية الروحية إلى أن بلغ الأربعين من عمره الذى هو رتبة تخمير الطينة البشرية المحمدية ورتبة نفخ الروح الكلى المحمدى بين الحقيقة الكلية وحضرة الهوية الغيبية ، ورتبة النبوة والرسالة ورتبة الخلافة عن الله ، ورتبة قاب قوسين ، ورتبة الظهور الكلى الإلهى الجمعى ، الذى توقف على ذلك المظهر الكلى المحمدى ، وذلك الجسم المستعد والمستوى القابل الأحمدى ، ثم سار بقطع المراتب الأكملية إلى رتبة أو أدنى التى ليس فوقها رتبة ، وبالله التوفيق.

واعلم أن الروح الكلى المحمدى والنور الأحمدى لما توقف ظهوره وتعينه فى الصورة البشرية العنصرية المحمدية على طهارة عرقه – صلى الله عليه وآله وسلم – ونسبه وطهارة مادته وتسويتها مع آدم عليه السلام بالانتقالات الصلبية والتحولات الاستعدادية فى آبائه إلى آخر أب له صورة وهو عبدالله ، وحصولها فى رتبة العبودية المحضة التى تقتضى انقطاع العبد عن العالم واتصاله بالحق بارتفاع النسب الخلقية والصفات الإمكانية التى قد كان تلبس بها النزول فى الصورة البشرية.

كذلك توقف تكميل النشأة الكلية الإنسانية ، ونفخ الروحانية الكلية المحمدية النورانية المفاضة من حضرة الوجوب على حصول التسوية الكلية فى الصورة الحسية البشرية بإعراضها عن علائق هذا العالم وتوجهها إلى حضرة الألوهية بقلب سليم وإفناء صفاتها وأحكامها فى الله جميعا ، وتحققها بصفة العبودية المحضة التى لا واسطة بينها وبين حضرة الوجوب التى أفاضت الروح المحمدى والنور الأحمدى من الحقيقة المحمدية الكلية المطلقة وبالله التوفيق.

فصـــــل

آبـــــائـــه صلى الله عليه وآله وسلم إلى إبراهيم عليه السلام

هو : محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصى بـــن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معبد بن عدنان ... إلى هنـــا روى البخارى من غير اختلاف ابن أد بن اليسع بن الهميسع بن ســـلامان بـــن نبت بن جمل بن قيدار بن اسماعيل بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قيل إن آدم عليه السلام أولد حواء أربعين ولدا فى عشرين بطنا إلا شيث وصيه فإنه ولد منفردا كرامة لكون نبينا – صلى الله عليه وآله وســـلم – مـــن نسله ، ثم لما توفى وصى بنيه بوصية أبيه له أن لا يضيعوا هذا النور الذى كـــان بجبهة آدم إلا فى المطهرات من النساء ، ولم تزل هذه الوصـــية معمـــولا بهـــا فى القرون إلى أن وصل ذلك النور لجبهة عبدالمطلب ، ثم ولده عبدالله ، وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد فى الأحاديث الصحيحة.

وذكر الحافظ ابن سعيد النيسابورى: أن نور النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – لما صار إلى عبدالله بن عبدالمطلب كان يضئ فى غرته ويفوح من فمه رائحـــة المسك الإذفر ، وكانوا يستقون به فيسقون ، ونام فى الحجر فانتبـــه مكحـــولا مدهونا قد كسى حلة البهاء والجمال فتحير فى من فعل به ذلك، فانطلق به أبوه إلى كهنة قريش ،فقالوا : إن إله السموات قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج.

بالانقياد إلى الله تعالى والاستسلام إليه لظهور الرسول الذى هو فى لب أصلابهم، ولهذا اختص البعض أى واجعل البعض من ذريتها (أمة مسلمة لك) [البقرة : ١٢٨] أى منقادة مستسلمة فى الانقياد لأمرك حتى يحصل بهم الأمر الذى لأجله خلقت الخلق ويظهر بهم وفيهم الأمر الكائن فى علم غيبك (وأرنا مناسكنا) أى متعبداتنا ، أى محل عبادتنا أو مذابحنا (وتب علينا) [البقرة : ١٢٨] أى ارجع علينا بالإفاضة من بحر جودك حتى نتوب إليك ، ونرجع إلى حضرة قدسك بالاستفاضة والاستهلاك فى أنوار شهودك (إنك أنت التواب) على من رجع إليك (الرحيم) لمن لاذ بجناب قدسك ولما تخلل الخليل فى الحضرات الإلهية ، والخزائن الأسمائية ، وشاهد فيها بنور النبوة وعين البصيرة كمال نور نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – ووجوده الحسى فى أصلاب الرجال من ذريته الذى يأتى بالكتاب المبين ، وبه يظهر الحق ويكمل الدين ، وبه يحصل المراد الإلهى من انجاز عالم التفضيل (ربنا وابعث فيهم) [البقرة : ١٢٩] أى فى تلك الأمة المسلمة من ذريتى (رسولا منهم) أى من أنفسهم (يتلو عليهم آياتك) التى تنزلها عليه (ويعلمهم الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى وضع الأشياء فى موضعها ، وهى الإصابة فى الأمور على ما هى عليه من حقائقها[1].

---

(١) روى عن الإمام الشافعى – رضى الله تعالى عنه قال : روينا عن أسلافنا فيما أعلم قالوا : الحكمة سنة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ذكرته فى كتابى : الإمام الشافعى فقيها ومحدثا عن كتاب الرسالة للشافعى.

(ويزكيهم) أى يزكى نفوسهم من تلوث الالتفات والميل إلى الغير (إنك أنت العزيز الحكيم) [البقرة : ١٢٩].

اعلم أن إبراهيم عليه السلام ، طلب من الله فى ندائه هذا أمورا :

أحدها : أن يجعلهما مسلمين منقادين له ، والإسلام والإنقيـــاد إلى الله صفة العبد وهما مراتب . أعلاها مرتبة قرب النوافل التى هى مرتبة اضـــمحلال صفات العبد.

ومرتبة قرب الفرائض التى هى مرتبة اضمحلال ذات العبد[1].

وأعلى مراتب الإنقياد بإفاضة التجليات الإلهية على العبـــد فتســـتهلك صفاته بصفات الحق وتستهلك ذاته بتجليات الحق ، فكل ما يظهر منه إنما يظهر بتلك الإفاضة الإلهية وألا يسند إلا إلى الله ، فطلب إبراهيم عليه السلام من الله أعلى مراتب الإسلام وهو الانقياد إلى الله بالتجلى الإلهى المفـــاض منـــه تعـــالى فيكون انقيادهما إليه مجعولا له تعالى بإفاضة التجلى والقدرة على مراتب العبـــد والاستكنان تحت الأسرار الألهية والظلال الربانية ، فلما شاهد إبـــراهيم عليـــه السلام نفسه وعاد للسر المحمدى طلب أعلى الانقياد الذى هو كالتوبة لظهـــور وجود النبى – صلى الله عليه وآله وسلم –.

الأمر الثانى : لما شاهد إبراهيم النبى – صلى الله عليه وآله وسلم –

(١) وإليه الإشارة بالحديث : من عادى لى وليا وفيه قوله : فإذا أحببته كنت سمعه الـــذى يسمع به وبصره الذى يبصر به وهو مقام الجمع بين القربين قرب الفرائض وقرب النوافل، فالأول فناء العبد فى الله فلا يشعر بسواه والثانى فناء الصفات.

فى بطون بطون لبه ، وأصلاب أصلاب لرجال من صلبه بحسب القرون المتطاولة والأزمنة المتعينة لهم ، طلب لهم الاسلام والانقياد الذى طلبه لنفسه ليظهر ذلك النور الإلهى والروح المحمدى على الوجه الذى أراد الحق تعالى ، فقال : (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) [البقرة : ١٢٨].

أى طلب من الله تعالى أن يجعل من ذريته أمة مسلمة ، أى منقادة له تعالى بالانقياد الذى يحصل من الإفاضة الإلهية والإعانة الربانية ، فخص ذريته بل البعض منهم الذين هم لبه لأنه رأى النور المحمدى يتلألأ فى غيوب بطون ذريته فى صلبه فطلب انقياده المجعول لتظهر ذريته على سره ، وطلب انقياد ذريته له تعالى الذى هو سر انقياده ليحصل كمال التوبة لظهور تلك الصورة المحمدية.

والأمر الثالث : طلب محل العبادة والتعبد ، وذلك لوجهين "

أحدهما : إنه كان فى بناء البيت للطواف والعبادة ، فطلب من الله أن يريه محل العبادة عنده وتعينه له ، لأن العبد لا يفعل شيئا من تلقاء نفسه بل يفعل بأمر السيد.

والثانى : كان إبراهيم مهيما فى أنوار جمال الحق تعالى ، فكان لا يميز مظهرا من مظهر ولا محلا فطلب من الله أن يعينه.

والأمر الرابع : طلب من الله أن يبعث فى تلك الأمة المسلمة من ذريته رسولا منهم فقال : (ربنا وابعث فيهم رسولا) [البقرة : ١٢٩] هو سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – فيتضمن ذلك القول أمورا :

أحدها : أن تكون الأمة التى بعث فيهم سيدنا محمد – صلى الله عليه

وآله وسلم – منهم مسلمة بالإسلام المجعول من الله تعالى.

والثانى : أن يكون ذلك الرسول من ذرية إبراهيم لأن الأمة التى بعث فيهم رسولا كانوا من ذريته.

والثالث : امتداد الملة الحنيفية والشريعة الخليلية إلى بعثة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – وعدم انقطاعها بين إبراهيم وبين بعثته – صلى الله عليه وآله وسلم – ؛ لأن الإسلام قبل بعثته فى ذرية إبراهيم عليه السلام ، من جهة إسماعيل عليه السلام لا يتصور إلا على دين إبراهيم عليه السلام ولا يتصور بعثته من الأمة الإسلامية من ذريته إلا بامتداد الإسلام منه فى القرون التى بين إبراهيم عليه السلام وبين نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى بعثته.

والرابع : بعث الرسول فيهم منهم لا من غيرهم ، لأن الرسول المختص بهم لا يمكن أن يجئ من غيرهم لاختصاص ظهوره منهم ، وحينئذ لا يبعث فيهم غيره ، لأنه ظهر بصورة الانقياد الذى فيهم ، وأنتج أن يظهر على تلك الصورة أن انقيادهم الكلى إنما وقع لتلك الصورة المحمدية التى هى المراد الإلهى ، فكانت صورة نتيجة لانقيادهم وحالهم فرجعت إليهم ثمرة أعمالهم فلا يبعث فيهم إلا الرسول الذى هو صورة انقيادهم ونتيجته ، وهو منهم لا من غيرهم ؛ لأنه لا تظهر تلك الصورة المحمدية إلا من انقيادهم فكان – صلى الله عليه وآله وسلم – من الأمة المسلمة نسبا وملة ، فشرف الله إبراهيم بأن ختم ملته من حيث إضافتها إليه برسولنا – صلى الله عليه وآله وسلم – عند بعثته فى ملة إبراهيم عليه السلام لأنه كان يتعبد على ملة إبراهيم – عليه السلام – وشرفه

الله أيضا بجعل ملته شرعا له – صلى الله عليه وآله وسلم – وإحيائه إياها وجعلها ملة باقية دائمة إلى يوم القيامة.

والخامس : أن يجيء الرسول بين إبراهيم ومحمد – عليهما الصلاة السلام– بالدين الآخر لتكون الأمة المسلمة هى التى بعث فيها نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – ودينه الذى بعث فيه هو دين الإسلام.

والسادس : ثبوت بعثة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – فى ملة إبراهيم – عليه السلام – من حيث كون ملته شرعا له من الله تعالى : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم) [الحج : ٧٨].

فإذا ثبت إمتداد الإسلام وعدم انقطاعه من إبراهيم عليه السلام إلى زمان بعث نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – وثبت وجود الأمة المسلمة التى بعث فيها منها ثبت توحيد أبيه : عبدالله وإسلامه ، وتوحيد أمه : آمنة وإسلامهما على طريق أخرى ؛ لأنه لا يتصور وجوده فيهم ومنهم ، وهما من ملة دونهم. ولما ثبت كونه منهم بحسب القرابة الطينية ثبت كونه منهما وكونهما أمة مسلمة بحسب القرابة الرحمية على طريق أخرى ؛ لأن مادة جسمه البشرى ما تعينت إلا فى أبيه – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وما كملت صورته البشرية إلا فى رحم أمه. فثبت كونهما أمة مسلمة كما قال تعالى فى حق إبراهيم – عليه السلام – : (إن إبراهيم كان أمة قانتا) [النحل : ١٢٠].

ولو لم يوجد مسلم غيرهما ، والعكس بخلاف ذلك فإنه لا يجوز إطلاق بعثته من الأمة المسلمة بحسب القرابة الطينية ، فكونه منهم بحسب كونه منهما،

فلما دعا إبراهيم عليه السلام أول ما دعا عند البيت الذى أمره الله ببنائه للعبادة والدعاء أن يبعث الله من الأمة المسلمة من ذريته رسولاً منهم. استجاب الله دعاءه لأنه صادق ، وقد وعد باستجابة دعاء عباده كما قال تعالى : (ادعونى استجب لكم) [غافر : ٦٠] فحفظ دينه بالأمة المسلمة من ذريته إلى بعثته – عليه السلام – . ثم بعثه فيهم ، وما كان غرض إبراهيم فى دعائه هذا إلا استدامة العبودية فى الأمة المسلمة من ذريته وبعثة الرسول إلى تلك الذرية المسلمة ودعا له وكان هو كالدر اليتيم مكنونا فى لبهم ، وهذا هو عين مراد الحق وبه تعلقت الإرادة الإلهية كما وقع بعد بعثته – صلى الله عليه وآله وسلم – فحفظ الله دين إبراهيم بالأمة المسلمة من ذريته إلى بعثته – صلى الله عليه وآله وسلم – فلهذا ما بعث إلا فى دين إبراهيم فأحياه.

فلمّا بعث الله تعالى سيدنا محمداً – صلى الله عليه وآله وسلم ، أعلم أنه أجاب دعوة إبراهيم (عليه السلام) وأنه ما بعث إلا من الأمة المسلمة من ذريته عليه السلام.

فثبت كون أبويه – صلى الله عليه وآله وسلم – على دين إبراهيم عليه السلام – وهو الإسلام الذى طلبه من الله له وللأمة من ذريته . هذا من جهة دعوة إبراهيم – عليه السلام – فقط[1].

---

(١) ومما نتلوه من القرآن الكريم مما يؤكد هذا المعنى قول الله تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين،=

وأما من جهة إخبار الله تعالى عنه – عليه السلام – بهذه الآيات ، وشهادته عنه فى معرض إثبات نبوة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – بحكاية قول إبراهيم – عليه السلام – عند من توقف عن التصديق وعند من أنكر وادعى أنه على دين إبراهيم – عليه السلام – وسمع من آبائه دعوته بذلك الدعاء ، وكون شهادة الله عنه– عليه السلام – فى هذه الأخبار بمترله الشاهد على نبوة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم –.

فيكون ذلك القول من الله نصا على كون أبويه من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم – عليه السلام – أى أن رسولكم الذى أرسلته فيكم من أنفسكم هو الرسول الذى دعا به أبوكم إبراهيم عليه السلام وطلبه منا أن نبعثه فيكم بعد طلبه منا أن نجعلكم أمة مسلمة ، وأنتم سمعتم من آبائكم دعوة أبيكم إبراهيم– عليه السلام – فى حقكم بالإسلام ، وانبعاث الرسول فيكم منكم ولا تنكرونه بل تنتظرون بعثته.

وأما من جهة بعثته – صلى الله عليه وآله وسلم – وثبوت رسالته بالمعجزات

= واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم) [الأنعام : ٨٣ – ٨٧].

وقال الله تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) [إبراهيم : ٣٥].

وقال عز وجل : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) [إبراهيم : ٤٠] وأبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – من ذرية اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

الظاهرة والآيات القاهرة فثبوت رسالته يتضمن إجابة دعوة إبـــراهيم – عليـــه السلام – ، وهو يتضمن كون أبويه – صلى الله عليه وآله وسلم – من الأمـــة المسلمة ، ولهذا قال – صلى الله عليه وآله وسلم – : (أنا دعوة أبي إبراهيم[1].

بل ثبوت رسالته عين الثبوت كونه من الأمة المسلمة ، لثبوت بعثته منـــهم بشهادة الله تعالى[2] فمن آمن برسالة سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم– وصدقه فيها آمن ببعثته من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم عليه السلام[3].

واعلم أن إبراهيم – عليه السلام – لما تحقق بالإسلام والانقيـــاد إلى الله كمـــا يقتضى ، انجذب قلبه من عالم الحس إلى عالم الغيب فأطلعه الله على صورة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم– فى أصلاب رجال من صلبه كما قال تعالى :

---

(١) وذكر ابن إسحاق فى السيرة : أن بعض الصحابة سألوا رسول الله – صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم فقالوا : خبرنا عن نفسك . قال : نعم. أنا دعوة أبيإبراهيم وبشرى عيسى عليهما الســـلام ورآت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام . واسترضعت فى بنى ســـعد ابن كعب فبينا أنا فى بُهُم لنا أتانى رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجـــا فأضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه ، فأخرجا منه علقة سوداء فألقياها . ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى إذا أنقياه رداه كما كان. ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمتـــه. فوزننى بعشرة فوزنتهم. ثم قال : زنه بمائة من أمتى. فوزننى بمائة فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف مـــن أمته فوزننى بألف فوزنتهم. فقال : دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنهم. قال ابن كثير هو إسناد جيد قوى وهو مروى فى الصحيحين أ. هـــ كتابنا فضائل النبى ومعرفة قدره ص : ٦٠.

(٢) قال الله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) [التوبة : ١٢٨].

(٣) قال تعالى : (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) [الحج : ٧٨].

(وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) [الأنعام : ٧٥] فشاهد أنه يبعث رسولا بالكتاب وأنه يحيى دينه وبه يحصل المراد الإلهى من إيجاد عالم الحدثان ، وشاهد أن تلك الصورة المحمدية إنما تظهر بكمال العبودية والاستسلام إلى الله تعالى ثم طلب من الله انقياد أمة من ذريته إلى الله وإسلامهم حتى تظهر ذريته بصورة الانقياد الذى هو سيرته – عليه السلام – ويظهر فيهم أيضا الانقياد الأخير الذى شاهده بالصورة المحمدية. فكان غرضه من قوله : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) [البقرة : ١٢٨] استدامة دينه وبقاءه حتى يظهر ذلك الرسول الذى أراه الله إياه فى أصلاب رجال من هذه الأمة. فلهذا قال : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)
[البقرة : ١٢٩].

فقبل الله دعوة إبراهيم – عليه السلام– فى حق نفسه ودينه وفى حق الأمة المسلمة من ذريته وفى حق الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – الذى بعثه فيهم ومنهم. لأنها هى مراد الحق.

ووافقت إراداته ، فلما أرسل الله الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – بالكتاب فى دين إبراهيم – عليه السلام – علمنا أن بعثه من الأمة المسلمة من ذريته وعلمنا ببعثه من الأمة المسلمة عدم خلو الزمان بين إبراهيم – عليه السلام – وبين تلك الأمة المسلمة بل بين مبعث نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – بدين إبراهيم – عليه السلام – عن قوم مسلمين من ذريته وغيرهم الذين أقاموا دينه وبهم قام الدين وإن وقعت الغلبة للمفسدين والمشركين فى

بعض الأزمنة فجاء – صلى الله عليه وآله وسلم – بدين إبراهيم – عليه السلام – وأمر بالاتباع له قال تعالى : (بل ملة إبراهيم حنيفا) [البقرة : ١٢٥] وقال : (ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفا) [1] [النحل : ١٢٣].

فلما كان هذا القول نصا فى الاتباع لدين إبراهيم – عليه السلام – كان نصا فى وجود الأمة المسلمة من ذريته الذين بهم قام دين إبراهيم عليه السلام ، وإذا كان نصا فى وجود الأمة المسلمة ، كان نصا فى إسلام أبويه لكونه منهما ولم يكن نص آخر يعارضه بوجود المشركين بينهم ؛ لأنه لا يحكم على أحد من القوم الذين بعث فيهم منهم رسولا بالشرك على التعيين إلا بالنص الصريح[2].

إن وقعت عبادة الأصنام قبل بعث الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – فكيف فى حق أبويه – صلى الله عليه وآله وسلم – وهما من الأمة المسلمة من ذرية إبّراهيم ، فإن إبراهيم – عليه السلام – دعا بثبوت الأمة من ذريته على الإسلام وإبقائه فيهم إلى بعث الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – منهم. وبعث الله فيهم الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – بنص القرآن الكريم ، وما بعد الحق إلا الضلال فكيف يحكم مسلم بإشراك جميع ذريته؟

حاشا فهذا بغى وضلال فإن إبراهيم – عليه السلام – فى هذه الآيات

---

(١) ومنه قول الله تعالى : (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين)[آل عمران : ٦٨].

(٢) مثل ما قاله رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – لأمية بن خلف عندما قال : يا محمد أترى الله يحيى هذا بعدما بلى ورم وكان فى يده عظم قديم فتّه ورمى به فى وجه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فقال له : نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزل قول الله تعالى : (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين..) إلى آخر سورة يس .

خص البعض من ذريته بالإسلام إشارة إلى آبائه – صلى الله عليه وآله وسلم – لأنه لا يمكن بعثه من أعراق جميع ذريته ، وطلب إبراهيم – عليه السلام – من الله أن يجنبه وذريته كلهم عبادة الأصنام بقوله : (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم : ٣٥] لإمكان ذلك.

فبعث الله نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – بدين إبراهيم – عليه السلام – من حيث كونه شرعا فأحياه ، فأكمله به قال الله تعالى فى حقه (اليوم أكملت لكم دينكم) [المائدة : ٣] وأبقاه إلى يوم القيامة ولما ثبت بالنصوص الإلهية والآيات اتباعنا واتباع نبينا لملة إبراهيم حنيفا وثبت وجود دين إبراهيم عليه السلام والذين قاموا بالدين وأقاموه ثبت إسلام أبويه – صلى الله عليه وآله وسلم – وتوحيدهما لكونه منهما. وظهوره بينهما. فإن إطلاق الأمة المسلمة وإرادتهما منها أحق وأقرب من اطلاقها وإرادة أقربائه. لأن القرابة الرحمية أقرب من القرابة الطينية كما ذكرنا.

فصل

فى الآيات التى تدل على طهارة نسبه صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى : (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) [التوبة : ٢٨]. فنهى المشركين لنجاستهم المعنوية عن التقرب من المسجد الحرام. أى عن الدخول فيه والوطء على أرضه وقال تعالى : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) [الحج : ٣٠] فجعل الأوثان عين الرجس فنهى عن التقرب منها. وقال تعالى: (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) [النور: ٢٦]

فخص الخبيثات من النساء المشركات بالخبيثين من الرجال المشركين وخص الرجال الخبيثين بالخبيثات من النساء للمناسبة التى اقتضت المقارنة بينهما.

وقال تعالى :(والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات)[النور : ٢٦] فخص الطيبات من النساء بالطيبين من الرجال وخص الطيبين من الرجال بالطيبات من النساء.

فإذا جعل الله المشركين عين النجس ونهى أن يقربوا المسجد الحرام وجعل الأوثان عين الرجس ونهى عن التقرب منها. فكيف يقر العليم الحكيم الذى يضع الأشياء فى مواضعها الروح الطاهر الطيب النبوى الذى هو رحمة للوجود بأصلاب المشركين وأرحام المشركات التى هى عين النجاسة. ويجعلها أصله – صلى الله عليه وآله وسلم – فى التكوين والتصوير؟

فحاشا قدره جناب القدس الإلهى عن العجز والتحجير ، وحاشا عزة ذلك النور المبين عن التلوث والتلبس بما لم يكن من عالم التقديس والتنوير. وقد خص الله الطيبات من النساء بالطيبين من الرجال ، وخص الطيبين من الرجال بالطيبات من النساء.

وإذا كان هذا فى الالتحام النكاحى فوقوعه فى أصلاب الرجال وأرحام النساء للمناسبة بينهما وبين النطف التى تتكون فى الأصلاب وتستقر فى الأرحام أولى بذلك لأن الاختصاص فى الأول للمناسبة بين الشخصين. وفى الثانى : إنما لتعين النطف ويولد بصورة سر الآباء والأمهات فافهم[1].

---

(١) وأقول سائلا : ما هى الرحمة وما هى البركة فى قول الله تعالى (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) [هود : ٧٣] إن لم يكن المراد بهما. الإيمان والإسلام فى ذرية سيدنا إبراهيم إلى سيدنا محمد– صلى الله عليه وآله وسلم – وأليس قال ربنا عز وجل (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب : ٣٣] قال البعض جهلا : إنما فى نساء النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – وأقول لهم.=

المطلع الثالث

فى الآيات الدالة على ثبوت ملة إبراهيم عليه السلام وبقائها فى ذريته وعدم اندراسها من زمان بعثة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى فى سورة البقرة بعد ذكر دعوة إبراهيم عليه السلام ببقاء ملته وبقاء الأمة المسلمة من ذريته وبعث فيهم الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – منهم (ومن يرغب عن ملة إبراهيم)[البقرة : ١٣٠] أى يردها : أى لا يرغب أحد عن ملته (إلا من سفه نفسه) [البقرة : ١٣٠] أى لا يعرض عن ملة إبراهيم – عليه السلام – إلا من جهل نفسه وجهل شرف ذاتها لكمال قابليتها لانطباع الصورة الإلهية الأسمائية فيها وأهالها وجهل مرتبتها عند الله فلم يعرف أن شرف نفسه وكمالها إنما يحصل بالتحقق بملة إبراهيم – عليه السلام – وهو الانقياد إلى الله. والظهور بأحكام الصفات والأخلاق الإلهية الثبوتية تماما فكان الظهور بالملة التحقق بملة إبراهيم عليه السلام فإن ملة إبراهيم – عليه السلام – كانت فى النفس بالقوة وإذا حصل الاستكمال يظهر

=إن الحكم فيها عام يشمل الرجال والنساء بدلالة أن الضمير فى الآية للمذكر وإلا لقال ربنا (ليذهب عنكن ويطهركن) وفى حديث الكساء جمع النبى – صلى الله عليه وآله وسلم –على وفاطمة والحسنين وقال : اللهم إن هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. ولما أرادت أم سلمة الدخول معهم قال لها : أنت من نساء النبى.

بالفعل. فمن عرف شرف نفسه وكمالها فى الانقياد الذى هو ملة إبراهيم عليه السلام لا يرغب عنها. وهذا القول من الله يدل على وجود ملة إبراهيم – عليه السلام – عند بعثة سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – بالنبوة والدعوة إلى الله والتحريض على الاتباع لها.

وقال تعالى : (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) [البقرة : ١٣٥] وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى أى قالوا فى الترغيب إلى ملتهم. أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى : كونوا نصارى(تهتدوا) جواب الأمر. قال الحق تعالى قل أمرا لمحمد – صلى الله عليه وآله وسلم – (بل ملة إبراهيم) [البقرة : ١٣٥] أى قيل بل كونوا أهل ملة إبراهيم – عليه السلام – أو بل نتبع ملة إبراهيم – عليه السلام – فأمرهم بالاتباع لملة إبراهيم – عليه السلام – وذلك يستلزم وجود ملته – عليه السلام – وأحكامها (حنيفا) أى مائلا عن الباطل إلى الحق.

(وما كان من المشركين) [البقرة : ١٣٥] تعريض بالمشركين من أهل الكتاب وغيرهم فإنهم كانوا يدعون اتباعهم لملة إبراهيم – عليه السلام – وهم مشركون.

وقال تعالى : (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين) [آل عمران : ٦٨] وقال تعالى : قل(صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) [آل عمران : ٩٥] وقال تعالى : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا) [النساء : ١٢٥].

وقال جل وعلا : (إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) [الأنعام : ١٦١] وقال تعالى : (وأن أقم وجهك للدين حنيفا) [يونس : ١٠٥].

وقال تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) [إبراهيم : ٣٥] وأخرج ابن أبى حاتم عن سفيان بن عينيه أنه سئل : هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام؟

قال : لا ألم تسمع قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) [إبراهيم : ٣٥].

فإن قيل : كيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم .

يقال : لأنه دعا لأهل هذا البلد أن يعبدوه إذا أسكنهم إياه فقال : (رب اجعل هذا البلد آمنا) ولم يدع لجميع البلدان بذلك (واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) فيه وقد خص أهله.

وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن مجاهد فى هذه الآية قال : فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته فى ولده ، فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته ، فاستجاب الله له وجعل هذا البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعل إماما من ذريته يقيم الصلاة.

وقال تعالى : (ثم أوحينا إليك) يا محمد (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) [النحل : ١٢٣].

أمره الله تعالى أن يتبع ملة أبيه إبراهيم فكانت ملته شرعا من الله. وليس فوق هذا فى إثبات ملة إبراهيم – عليه السلام – وبقائها إلى بعثة سيدنا

محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – نص فإن سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – كان فى ملة إبراهيم – عليه السلام – قبل بعثته فلما بعث منها بعث بها من حيث كونها شرعا له.

وقال تعالى : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) [إبراهيم : ٤٠].

أخرج ابن جرير – الطبرى – فى قوله تعالى : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى) قال : فلن يزال من ذرية إبراهيم – عليه السلام – ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى.

وقال تعالى : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) [الحج : ٧٨].

وقال تعالى : (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون) [الروم : ٤٣]. وقال تعالى : (والله خلقكم من تراب) [فاطر : ١١] أى آدم. وهم كانوا فى صلبه ثم من نطفة. أى من آدم – عليه السلام – ونطف بنيه (ثم جعلكم أزواجا) من ذكر وأنثى للتوالد والتناسل وامتداد النوع الإنسانى (وما تحمل من أنثى) من نطفة ذكر (ولا تضع) حملها (إلا بعلمه) [فاطر : ١١] وإذنه. فالخالق الحكيم الذى يضع الأشياء فى مواضع ويجرى الأمور على سبلها ومسالكها الذى خلق أولا روح محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – وجعله أصلا وأبا لجميع الأرواح وقدر فى الأزل ظهور الحق والدين به كونه مظهر كلياته وبه تحصل المعرفة الربانية

والعبادة الإلهية التي قصدت من بقعة الإمكان. وأنزل القرآن الـذى يتضـمن الجمع بين صورة العبودية والتحقق الكلى بالعبودية المحضة على قلبه. لا يخلـق محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - من نطفة مشرك أبدا. ولا يجعل الزوجية بين مشرك ومشركة ليكون هو نتيجة عنهما ولا يريد أن تحمل مشـركة مـن نطفة مشرك محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - الذى هو رحمـة الوجـود. ومفتاح خزائن الكرم والجود. لأنه يخالف حكمته ولا تحجير عليه ولا مجبر لـه على ذلك. حاشا لأنه مستخرج من حضرة الألوهية على الصـورة الجمعيـة الأسمائية ولأن وجوده - صلى الله عليه وآله وسلم - قصدا خاصا لـه تعـالى لإظهار أحكام ربوبيته وانتشار رأفته ورحمته على بريته. بخـلاف حـال سـائر الكمل من الأولياء والرسل فافهم!

فإذا كان خلق الإنسان من نطفة. وجعل الزوجية بين الـزوجين أمـراً مخصوصا بالله تعالى وكان حمل الأنثى ووضعها حملها بعلمه تعالى وإذنه. فما خلق محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - إلا من أطهر بقعة وأصفاها وأشرف لمعـة وأنورها وأسناها . وما جعل الزوجية بين أبويه إلا فى أشرف الأصول وأكرمها وأمجدها ، وما رباه فى رحمها التى هى أطهر الأرحام إلا بأحسن التربية وأطيـب الأغذية التى تقتضيه طهارة ذاته ونزاهتها وما وضعته إلا فى وقت سعيد أيضـا بعلمه الحق موافقا لكماله وقدره له على مقتضى علمه.

وقال تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء) أى برئ : (مما تعبدون) أى من الآلهة التى تعبدونها (إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين) الصـراط

المستقيم والطريق القويم (وجعلها كلمة باقية فى عقبه)[1] أى وجعل إبراهيم كلمة التوحيد باقية أى أراد إبقاءها فى ذريته.

أو جعل إبراهيم كلمة قوله : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)[2] [البقرة : ١٢٨].

كلمة باقية أى طلب بها من إبقاء ملته فى ذريته ودوامها إلى مجئ الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم– منهم فاستجبت دعاءه. فجعلتها باقية فى ذريته متصلة ببعث الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – فيهم منهم. فأضاف الجعل إلى إبراهيم – عليه السلام – لاستدعائه بقاءها فى ذريته وكونه سببا لبقائها فيهم. أو فطلب إبراهيم منا بقاءها فجعلتها كلمة باقية دائمة فى ذريته إلى مجئ الرسول فيهم منهم.

وأخرج عبد بن حميد فى تفسيره بسنده عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – فى قوله تعالى : (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) قال : شهادة أن لا إله إلا الله. باقية فى عقب إبراهيم – عليه السلام – وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله تعالى : (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

---

(١) الآيات : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة الزخرف وعقب الرجل : ذريته فى كل القرون.

(٢) وقال الله تعالى مشيدا ومادحا لكل من أسلم وجهه لله واتبع ملة إبراهيم (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) [النساء : ١٢٥].

وقال عبد بن حميد : حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة فى قوله تعالى : (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) قال : شهادة أن لا إلـه إلا الله . والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده.

وقال عبدالرزاق فى تفسيره عن ابن معين عن قتادة فى قوله تعالى : (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) قال : الإخلاص والتوحيد لا يزال فى ذريته من يوحد الله ويعبده. أخرجه ابن المنذر ثم قال : وقال ابن جريج فى الآية : فى عقب إبراهيم – عليه السلام – فلم يزل بعض من ذرية إبراهيم – عليه السلام – من يوحد الله ويعبده بقوله : لا إله إلا الله . وقال : وقول آخر فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله حتى تقوم الساعة (لعلهم يرجعون) أى لعل المشركين منهم فى كل دور يرجعون إلى الله بدعاء الموحدين من ذريته. ثم اضرب عن جعل إبراهيم كلمة التوحيد ودوام ملة إبراهيم – عليه السلام – فى ذريته إنما هو بإعطاء الله لهؤلاء القوم من قريش وآبائهم من النعمة وطول العمر فكان بقاء كلمة التوحيد فى ذريته إلى مبعث الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – بإمداد الله إياهم وحفظهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين. أى متعت هؤلاء وآباءهم إلى إبراهيم بالمد فى عمرهم وعدم انقطاع نسلهم. فبقيت الكلمة الإبراهيمية والملة الخليلية فى ذريته إلى مجئ الحق. أى ظهور دعوة التوحيد ورسول ظاهر بالمعجزات القاهرة فأخبار الله لنا فى القرآن أنه جعل كلمة التوحيد وملة الإسلام فى ذرية إبراهيم – عليه السلام – باقية لم تزل فيهم من لدن إبراهيم إلى بعثة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فيهم. إنما هو من جهة آبائه وأجداده كلهم إلى إبراهيم – عليه السلام – فثبت توحيد عبدالله

أبى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – وأمه وإسلامهما وتوحيد سائر آبائه إلى إبراهيم – عليه السلام – وذلك أن إبراهيم – عليه السلام – لما شاهد فى أصلاب رجال فى صلبه صورة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – وبعثه بالكتاب والحكمة ورأى إحياءه الحق وملته. وشاهد أن ظهور تلك الصورة المحمدية فى الحضرة الحسية إنما يكون الإسلام والانقياد إلى الله وإفناء الوجود فى الله ،وكان مغرما بظهوره طلب من الله أن يبقى الإسلام والتوحيد فى ذريته نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن إلى بعثة الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – ليكون ذلك سببا لظهور الصورة المحمدية والنسخة القرآنية. وبهما يظهر الحق ويكمل الدين فكان أبواه – صلى الله عليه وآله وسلم – من الأمة المسلمة الذين طلب إبراهيم فى الدعاء بعث الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – منهم بالكتاب وجعل الله كلمة التوحيد باقية فى ذريته أى فى جميع آباء النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى إبراهيم – عليه السلام – إلى مجئ الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – منهم كما شهد بقوله تعالى (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) وكان ذلك من إبراهيم تدبيرا إلهيا فى ظهور الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – الذى شاهده فى أصلاب رجال من ذريته فطلب من الله ظهوره بالكتاب والحكمة ولا يكون ذلك إلا ببقاء التوحيد والانقياد إلى الله فى ذريته فى جميع آباء النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى بعثه – صلى الله عليه وآله وسلم – لأن قوله تعالى : (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) إلى قوله (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) [الزخرف : ٢٨ ، ٢٩] يقتضى ذلك.

وقال تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) [الجاثية : ١٨].

وقال تعالى : (وما أمروا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) [البينة : ٥].

فأخبر الله تعالى فى هذه الآيات عن بقاء ملة إبراهيم وبقاء دينه فى ذريته إلى بعثه - صلى الله عليه وآله وسلم - منهم وأمرنا ببعضها باتباع تلك الملة الحنيفية والشريعة الخليلية. وأمر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فى بعضها أيضا باتباعه لها ودعوته بها من حيث كونها شرعا له - صلى الله عليه وآله وسلم - فإذا صح بقاء ملته فى ذريته إلى بعثه - صلى الله عليه وآله وسلم - صح توحيد أبويه وإسلامهما لكونهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم - عليه السلام - بل لكونهما أمة مسلمة كما قال تعالى : (إن إبراهيم كان أمة قانتا)[النحل : ١٢٠] فإن نسبته إليهما أقرب من نسبته إلى ذوى قرابته فافهم التخليص.

واعلم أن الملة الحنيفية والشريعة الخليلة التى هى الإسلام اتصلت إلى بعثة نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بل بعث هو فيها ومنها وأمر باتباعها وإحياء أحكامها كما قال تعالى : (ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفا) [النحل : ١٢٣].

وما وقعت فى الفترة بين الشريعتين أى بين شريعة إبراهيم - عليه السلام - وشريعة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - من حيث اندراس شريعة إبراهيم عليه السلام - وعدم بعثته - صلى الله عليه وآله وسلم - لأنه

بعث فى دين إبراهيم – عليه السلام – وكانت الأحكام التى وضعها إبراهيم عليه السلام أصول شريعته – صلى الله عليه وآله وسلم – بل كان الغرض الإلهى من ملة إبراهيم – عليه السلام – بعثة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم– فيها بالكتاب المستوعب لجميع الشرائع الإلهية والنبوات البشرية مع اختصاصه بأحكام زائدة عليها(١). بل وقعت الفترة والفتنة فى دين إبراهيم – عليه السلام – وبجيوش الشرك من عبدة الأصنام ووقوع الغلبة منهم على الإسلام كما وقعت الفترة فى دين نبينا فى زمان التابعين وبعدهم بحدوث الفرق الضالة مع بقاء الإسلام والمسلمين(٢).

فإن الله تعالى أمر نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – باتباع ملة إبراهيم – عليه السلام – ووجود ملته إلى زمان بعثه – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى الذين أقاموا الملة والدين.وبهم قامت الملة كما قال – صلى الله عليه وآله وسلم – فى الصلاة : (من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين).

---

(١) قال الله تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذين أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب) [الشورى : ١٣].

(٢) إن ظهور الفرق الضالة فى تاريخ الإسلام لا يدل على حدوث الفترة لقرب العهد بعصر النبى والصحابة كما أنه لا نبوة بعد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ولكن أهل الفترة هم قوم عاشوا بين عصرى نبيين طال بهم العهد بالنبى الأول حتى اندرس بعض شريعته فهذا تساهل من المؤلف عفا الله عنه.

فامتداد الملة وبقاؤها من زمان إبراهيم – عليه السلام – إلى زمان نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – لا يقع إلا بوجود المسلمين فى الأزمنة التى بينهما وإقامتهم إياها.

فإذا ثبت وجود ملة إبراهيم فى زمان بعثته – صلى الله عليه وآله وسلم – ثبت وجودها من زمان إبراهيم عليه السلام إلى زمان بعثته – صلى الله عليه وآله وسلم-

وإذا ثبت وجود ملة إبراهيم – عليه السلام – ثبت إسلام أبيه عبدالله وتوحيده لأن المراد من الملة الحنيفية الانقياد إلى الله تعالى وتسليم الأمور إليه والتحقق بالعبودية المحضة التى توجب ظهور الصورة الكلية المحمدية والمراد منها: ظهوره وبعثته – صلى الله عليه وآله وسلم – فإذا ظهر من صلب عبدالله بصفة العبودية ولهذا أسماه الحق بالعبد.

وقال : (سبحان الذى أسرى بعبده) [الإسراء : ١].

علم عبودية عبدالله وتحققه بها لأن الولد سر أبيه. ولا يتصور التحقق بهما إلا بالإسلام والانقياد إلى الله والتوحيد. وكذلك أمه.

فكان أبواه – صلى الله عليه وآله وسلم – على ملة إبراهيم – عليه السلام – ودين الإسلام الذى اتصل إلى ابنهما محمد – عليه الصلاة والسلام– ومن أصدق من الله قيلا (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل).

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

المطلع الرابع

فى الأحاديث التى دلت

على طهارة نسبه إلى آدم عليه السلام

قال النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – : (لم يزل الله يـنقلنى مـن الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة) وقال فى حديث آخر أخرجه البخارى عن أبى هريرة – رضى الله تعالى عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليـه وآله وسلم – : (بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت فيه).

أى بعثت فى صورة أصولى وآبائى من لدن آدم – عليه السـلام – إلى عبدالله فى كل قرن من خير قرون بنى آدم أى بعثت فى خير ذلك القرن.

ولهذا قيل فى تفسير قوله تعالى : (الذى يراك حين تقـوم وتقلبـك فى الساجدين) [الشعراء : ٢١٨ – ٢١٩].

إنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد ، وكان خير تلك القرون قرنا بعد قرن لأنه بمنزلة الأصل للشجرة. والقرون بمنزلة الشجر والصور الموجـودة المشهودة بمنزلة أغصان الشجرة وأوراقها وأزهارها وأثمارها، ولا يجـئ المـدد والفيض للشجرة وأغصانها وأوراقها إلا من أصلها حتى كنـت أى مازلـت فى الظهور فى أصلاب الآباء المعينة فى القرون المقدرة إلى أن كنت بغير واسطة أب من الآباء بل بالصورة البشرية الكلية والصورة الجميعـة الإلهيـة المختصـة بى

بالرسالة الكلية العامة فى القرن الذى كنت فيه ، فحينئذ كانت آبـاؤه الـذين كان هو فى أصلابهم وظهر بصورهم من لدن آدم – عليه السـلام – إلى أبيـا عبدالله فى كل قرن خير ذلك القرن لكونهم مظاهر للجمعية الأسمائية وإفاضة الله على الأعيان الممكنة فى بقعة الإمكان من تلك الجميعة وكونهم محل مادة جسمه – صلى الله عليه وآله وسلم – الذى فيه تجلى الروح الكلى المحمدى بجسمه.

وأخرج البيهقى فى دلائل النبوة عن أنس – رضى الله تعالى عنه– : أن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : ما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما فأخرجت من بين أبوى فلم يصيبنى شئ من عهر الجاهلية) أى ما افترق الناس من لدن آدم – عليه السلام – فى قرن فـرقتين إلا جعلـنى الله فى خير فرقة منهما فأخرجت فى كل قرن فى صورة الأب المختص بذلك القرن من بين أبوى فلم يصبنى شىء من عهر الجاهلية من عبادة الأصنام وغيرهـا فكـان جميع آبائه إلى آدم مسلمين سواء كانوا فى عهد الجاهلية أو فى غيره وخرجـت من بين أبوى من نكاح شرعى ، ولم أخرج من سفاح أى زنا من لـدن آدم – عليه السلام – حتى انتهيت أى فى الخروج على الطاهرة الأصلية إلى أبى عبدالله وأمى آمنة سالما من أوصاف أهل الجاهلية وشين السفاح فأنا خيركـم نفسـا وخيركم أبا.

وأخرج البيهقى فى سننه: ما ولد من سفاح الجاهلية شئ ما ولد إلا فى الإسلام.

وسفاحهم – بكسر السين – زناهم كانت المرأة منهم تسافح الرجل مـدة ثم يتزوجها.

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم وابن عساكر : (خرجت من نكاح ولم أخرج من

سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شئ).

وأخرج أبو نعيم : (لم يلتق أبواى قط على سفاح ولم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما).

وابن مردويه : قرأ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) [التوبة : ١٢٨] أى بفتح الفاء. قال : (أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم من سفاح كلنا نكاح).

وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السائب بن الكلبى عن أبيه قال : كتبت للنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - خمسمائة أم. فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية.

وأخرج أبو نعيم فى دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (ولم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة فى صورة الآباء والأمهات من لدن آدم مصفى من الكدورات الطبيعية مهذبا عن الأوصاف السفلية لا تتشعب شعبتان فى كل قرن إلا كنت فى خيرهما).

وعن ابن عباس عن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : (كنت نورا بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق الله آدم بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه فأهبطنى الله إلى الأرض فى صلب آدم. وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى

النار فى صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلنى من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجنى من أبوى لم يلتقيا على سفاح قط).

وأخرج مسلم والترمذى صححه عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم).

وقد أخرجه الحافظ أبو القاسم : حمزة بن يوسف فى فضائل العباس من حديث واثلة بلفظ : (إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلا واصطفى من إبراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل مضر واصطفى من مضر كنانة وقريشا ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ثم اصطفانى من بنى عبدالمطلب). [أورده المحب الطبرى فى ذخائر العقبى].

وأخرج ابن سعد فى طبقاته عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب . والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما).

أى كنت فى كل قرن وزمان خير الفرقتين من أهل ذلك القرن والزمان.

قال جلال الدين السيوطى : اعلم أن الأحاديث المذكورة تصرح أكثرها لفظا وكلها معنى أن آباء النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وأمهاته إلى آدم وحواء مطهرون من دنس الشرك والكفر ليس فيهم كافر ؛ لأنه لا يقال فى

حقه[1] : مختار ولا طاهر ولا مصطفى. بل يقال نجس. وقال الله تعالى : (إنما المشركون نجس) [التوبة : ٢٨] فوجب أن لا يكون فى أحاده مشرك مازال منقولا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومازال ينقل نوره من ساجد إلى ساجد كما قال الله تعالى : (الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين)[الشعراء : ٢١٨، ٢١٩] فالآية تدل على أن جميع آبائه – صلى الله عليه وآله وسلم – كانوا مسلمين وحينئذ وجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين إنما كان ذلك عمه.

وأخرج ابن أبى حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس فى قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) [الأنعام : ٧٤] إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما اسمه تارخ.

وأخرج ابن أبى حاتم وابن المنذر بأسانيد من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال : ليس آزر أبا إبراهيم.

وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج فى قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) قال : ليس آزر بأبيه وإنما هو إبراهيم بن يترخ أو تارخ ابن شاروخ بن ناخور بن فالخ وحينئذ كان آزر عمه والعرب تطلق لفظ الأب على العم إطلاقا شائعا ، كما فى قوله تعالى : (أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت إذا قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب) البقرة : ١٣٣].

(١) أى الكافر المشرك.

وقال السيوطى أيضا : وأخرج أبو على بن شاذان فيما أورده المحب الطبرى فى ذخائر العقبى وفى مسند البزار عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما– قال : دخل ناس من قريش على صفية بنت عبدالمطلب. فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية ، فقالت صفية : منا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فقالوا : تنبت النخلة أو الشجرة فى الأرض الكباد – أى الكناسة – فذكرت ذلك صفية – رضى الله تعالى عنها – لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فغضب وأمر بلالا فنادى فى الناس. فقام على المنبر فقال : أيها الناس من أنا؟ قالوا : أنت رسول الله.

قال : أنسبونى. قالوا : محمد بن عبدالله بن عبد المطلب.

قال : (فما بال أقوام يترلون أصلى . فوالله إنى لأفضلهم أصلا وخيرهم موضعا).

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث قال : بلغ النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – أن قوما نالوا منه فقالوا إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت فى كناس. فغضب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وقال : (إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين ، فجعلنى فى خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلا ، ثم جعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتا ، ثم قال : أنا خيركم قبيلا وخيركم بيتا).

واعلم أن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – لما كانت حقيقته أصل جميع الحقائق الإلهية والكونية وأصل جميع الأرواح كان هو روح آدم المنفوخ فيه ولب لبه فلما أراد الله أن يفتح به خزائن الكرم والجود ويظهر به أعطيات

الأسماء من حضرات الجمع والشهود. نفخه فى آدم فى لب الروح المنفوخ فيه فما ظهر فى صورة لب آبائه من آدم – عليه السلام – إلى أبيه عبدالله فى كل قرن وزمان. إلا كان هو خير أهل ذلك القرن والزمان وذلك لوجهين :

أحدهما : أنه – صلى الله عليه وآله وسلم – أصل جميع الصور الكونية والصور البشرية الإنسانية وروحها لأنه الروح المفاض من حضرة الفردية والوترية ولا يتعين فيها غيره فلا يماثله روح ولا صورة لأنه أول تعين من التعينات العلمية والعينية وأصل جميع الصور العلوية والسفلية فلا تماثله الصور التى تفرعت منه وكان هو روحها ولبها ففى أى صورة من صور آبائه من لدن آدم – عليه السلام – إلى أبيه عبدالله ظهر وتعين كان هو خير جميع الصور فى ذلك القرن لأنه روح الكل ومنه الإفاضة والإمداد إلى جميع تلك الصور.

والثانى : أنه لما كان المراد الإلهى من إيجاد عالم الإمكان الذى توقف حصوله على الصورة المحمدية الحسية الشهادية كانت الصورة المحمدية فى كل واحد من آبائه فى جميع القرون من لدن آدم إلى أبيه عبدالله أكمل جميع الصور وأجمعها وخيرها فى كل قرن من القرون التى ظهرت صورته فيها فى صور آبائه لأن الصورة الإلهية إنما ظهرت وتجلت فى صورته بحسب قابليتها واستعدادها والمعرفة الربانية إنما تحققت وحصلت فى كل قرن بتلك الصورة لكونها جميع أنوار الصور وأجملها وأكملها. وفى كل صورة وجهة توجد روحه – صلى الله عليه وآله وسلم – وتعين فيها كانت الصورة سيدة الصور كلها ، وحينئذ كانت صور آبائه – صلى الله عليه وآله وسلم – من لدن آدم عليه السلام

كالمنازل والمراحل لروحه – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى عالم الظهور. ومن حضرة الجمع والعماء لكمال الجلاء والاستجلاء إلى أن وصل إلى منزل حضـــرة العبودية المحضة التى تقتضى فناء العبد فيها بالذات والصفات وتحققـــه بـــالفقر الكلى الذاتى الذى كان لعينه الثابتة فى العلم وفى حال العدم الذى كان يقتضى تعينه الكلى فى الحضرة العلمية أولا. وهو وصوله إلى أبيه عبدالله ، فلهذا ظهرت صورته الحسية المحمدية من أبيه عبدالله على الصورة الكلية الكمالية التى أرادها الحق لأجل الجلاء والاستجلاء الكلى لتحققه بالعبودية المحضة لله تعالى وظهرت الصورة المحمدية منه على الطاهرة الأصلية الذاتية لطهارة المحل الأنور الأصـــفى من الصفات الكونية والأوصاف الخلقية فلتفرد عبدالله بالعبودية المحضة ، كانت هذه الصورة المحمدية الحسية كرتبة الفردية التى تعين فيها ومنها روح نبينـــا – صلى الله عليه وآله وسلم – أولا ؛ لأن الصورة المحمدية لا تتعين ولا تظهـــر إلا من الفردية فكان تقلبه فى الساجدين من آبائه ونقله من الأصلاب الطـــاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة عين تحصيل القوة والاستعداد فيه للوصول إلى رتبة العبودية المحضة التى يقتضـــى حصـــوله فيهـــا ظهوره بالصورة الكلية المحمدية. ولنفخ الصورة الإلهية الجمعية الأحاديـــة فيـــه فلهذا طلب إبراهيم – عليه السلام – من الله إسلامه والانقياد إلى الله وطلـــب بقاء الإسلام والانقياد فى ذريته حتى يحصل الاستعداد منـــهم والانقيـــاد إلى الله والتوجه الكلى والفقر الذاتى لظهور الرسول – صلى الله عليه وآله وســـلم – الذى شاهده فى غيوب أصلاب الرجال من ذريته ويظهر به الأمر الإلهى ويحصل الظهور الكلى الذى أراده به.

كما قال إبراهيم : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)

[البقرة : ١٢٩].

ولهذا قال – صلى الله عليه وآله وسلم – : (أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى).

فأشار عليه الصلاة والسلام إلى أن ظهوره بالصورة الكلية المحمدية وبعثه بالرسالة الكلية العامة إنما هو من دعوة أبيه إبراهيم – عليه السلام – ونفسه الذى جرى فى حقه ببعثه من رتبة العبودية الكلية التى يقتضيها الانقياد إلى الله فى آبائه ولا سيما فى أبويه اللذين هما آخر المراتب الاستقرارية والاستعدادية إذ لا يظهر الولد إلا بصورة أبويه. وهذا فى الأخلاق فكيف فى الصورة الجسمانية التى لا تتعين فى الولد إلا بحسب والديه ولهذا لما كانت الطهارة فى أبويه – صلى الله عليه وآله وسلم – فى النهاية. وبلغت فيه الصفوة الغاية من حيث تعينه فى التفرد فى أبويه فى خيره الذى لا يقبل التجزؤ لم يكن لهما ولد يشاركه فى ولادته من أبويه أخ ولا أخت. لاستحالة التعدد والتكثر فى تلك المرتبة الفردية.

فلما ظهر فى رتبة الفردية فردا وانتقل منهما انتقلت الفردية فيه أيضا وظهر هو بصورته فلم يبق لها وجود وبقاء فى الحس بعد انفصاله منهما.ولهذا مات عنه أبواه.

فأما أبوه : فمات وهو حمل ، وقيل : وهو حمل شهرين ، وقيل : سبعة أشهر ، قيل : مات وهو فى المهد ، فقيل : أنه مات فى طيبة المنورة ، وهو

آت من تجارة الشام عند أخوال أبيه عبدالمطلب ، بنى النجار.

وذكر الإمام الحافظ صلاح الدين العلائى فى كتابه (الدرة السنية فى مولد خير البرية) : كان سن عبدالله حين حملت منه آمنة برسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – نحو ثمانية عشر عاما ثم ذهب إلى المدينة ليشترى منها التمر فمات بها عند أخواله بنى عدى بن النجار. والنبى – صلى الله عليه وآله وسلم – حمل على الصحيح ، وقيل مات وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وقيل : كان لعبدالله يوم توفى خمس وعشرون سنة ، وقيل : كان عبدالله يوم تزوج آمنة ابن ثلاثين سنة ، وقيل : سبع عشرة سنة.

وأما أمه : فماتت وهى بنت ثمانية عشر عاما ، وكانت قد قدمت به طيبة تزور به أخوال أبيه فأقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكتها : أم أيمن.

وأخرج ابن سعد أنه – صلى الله عليه وآله وسلم – لما رأى دار النابغة قال : (بهذه نزلت بى أمى وأحسنت العوم فى بئر بنى النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون علىّ ينظرون إلىّ).

قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول : هو نبى هذه الأمة ، وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت أمه به ماتت بالأبواء. وفى رواية: (أنها دفنت بالحجون) وفى أخرى : فى دار النابغة بمكة. فماتت أمه وهو ابن ست سنين ، وقيل: لما بلغ – صلى الله عليه وآله وسلم– أربع سنين، وقيل: خمسا، وقيل: سبعا ، وقيل: تسعا ، وقيل: اثنى عشر، ماتت أمه وتقدم أبوه فى ذلك على أمه لتقدم انفصاله منه على انفصاله منها. وعدم بقاء وجوده بعد انفصاله منه. لأنه كان ظاهرا فى صورة أبيه بل فى صورة آبائه كلهم.

ولهذا قال : (لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة). وتأخرت أمه عنه فى ذلك[1].

أما قبل ولادته فظاهر ، وأما بعد ولادته فليتغذى بلبن أمه من أبيه ويتربى فى حجرها، فتقر عينها لمشاهدتها انشاءه فى حجرها.

فلما كان أبوه عبدالله بعبوديته التى تقتضى استدامة توجهه إلى حضرة الألوهية مظهر الفردية ووعاء المفرد المتعين فيه الذى لا يتعين فيه غيره ، واقتضت الفردية فى التحقق على الصورة البشرية الكلية الكمالية. الانتقال من عبدالله إلى رحم آمنة . انتقلت مع الفرد المتعين فيها إلى رحمها لتكمل الصورة البشرية المحمدية فيها ولتحقق الفردية فى الصورة التى لم تتحقق بها فى أبيه – صلى الله عليه وآله وسلم – وتعين فيها الفرد الذى كان كامنا فيها فى أبيه عبدالله فلما اقتضت الحكمة الإلهية البالغة والإرادة الذاتية الرائقة. تحققت الفردية فى الصورة البشرية المحمدية وتعين الفرد المعين فيها فى الصورة الكلية الكمالية. وتكاملت نشأته – صلى الله عليه وآله وسلم – فى رحم أمه ولد منها وظهر فى الصورة الحسية الشهادية فلما انفصل منها بالفردية التى كانت كالروح

(١) إن السبب فى تعدد هذه التواريخ وتضاربها هو أن العرب لم يكونوا يهتمون بالتواريخ لأن اهتمامهم الأكبر كان بمعرفة الأحساب والأنساب والأثر ، ولذلك كانوا يؤرخون للأحداث الهامة ، إذا كان الأمر خطيرا كيوم بعاث وعام الفيل وغيرهما . ولهذا نجد التواريخ عند العرب فى الزمن المتقدم فى الجاهلية وصدر الإسلام متضاربة وغير متفق على أكثرها حتى وضع المسلمون تاريخا ثابتا فى عهد عمر – رضى الله تعالى عنه – فقد أرخ بيوم الهجرة.

آت من تجارة الشام عند أخوال أبيه عبدالمطلب ، بنى النجار.

وذكر الإمام الحافظ صلاح الدين العلائى فى كتابه (الدرة السنية فى مولد خير البرية) : كان سن عبدالله حين حملت منه آمنة برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - نحو ثمانية عشر عاما ثم ذهب إلى المدينة ليشترى منها التمر فمات بها عند أخواله بنى عدى بن النجار. والنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - حمل على الصحيح ، وقيل مات وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وقيل : كان لعبدالله يوم توفى خمس وعشرون سنة ، وقيل : كان عبدالله يوم تزوج آمنة ابن ثلاثين سنة ، وقيل : سبع عشرة سنة.

وأما أمه : فماتت وهى بنت ثمانية عشر عاما ، وكانت قد قدمت به طيبة تزور به أخوال أبيه فأقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكتها : أم أيمن.

وأخرج ابن سعد أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - لما رأى دار النابغة قال : (هذه نزلت بى أمى وأحسنت العوم فى بئر بنى النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون علىّ ينظرون إلىّ).

قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول : هو نبى هذه الأمة ، وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت أمه به ماتت بالأبواء. وفى رواية: (أنها دفنت بالحجون) وفى أخرى : فى دار النابغة بمكة. فماتت أمه وهو ابن ست سنين ، وقيل: لما بلغ - صلى الله عليه وآله وسلم- أربع سنين، وقيل: خمسا، وقيل: سبعا ، وقيل: تسعا ، وقيل: اثنى عشر، ماتت أمه وتقدم أبوه فى ذلك على أمه لتقدم انفصاله منه على انفصاله منها. وعدم بقاء وجوده بعد انفصاله منه. لأنه كان ظاهرا فى صورة أبيه بل فى صورة آبائه كلهم.

ولهذا قال : (لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة).

وتأخرت أمه عنه فى ذلك[1].

أما قبل ولادته فظاهر ، وأما بعد ولادته فليتغذى بلبن أمه من أبيه ويتربى فى حجرها، فتقر عينها لمشاهدتها انشاءه فى حجرها.

فلما كان أبوه عبدالله بعبوديته التى تقتضى استدامة توجهه إلى حضرة الألوهية مظهر الفردية ووعاء المفرد المتعين فيه الذى لا يتعين فيه غيره ، واقتضت الفردية فى التحقق على الصورة البشرية الكلية الكمالية. الانتقال من عبدالله إلى رحم آمنة . انتقلت مع الفرد المتعين فيها إلى رحمها لتكمل الصورة البشرية المحمدية فيها ولتحقق الفردية فى الصورة التى لم تتحقق بها فى أبيه – صلى الله عليه وآله وسلم – وتعين فيها الفرد الذى كان كامنا فيها فى أبيه عبدالله فلما اقتضت الحكمة الإلهية البالغة والإرادة الذاتية الرائقة. تحققت الفردية فى الصورة البشرية المحمدية وتعين الفرد المعين فيها فى الصورة الكلية الكمالية. وتكاملت نشأته – صلى الله عليه وآله وسلم – فى رحم أمه ولد منها وظهر فى الصورة الحسية الشهادية فلما انفصل منها بالفردية التى كانت كالروح

---

(١) إن السبب فى تعدد هذه التواريخ وتضاربها هو أن العرب لم يكونوا يهتمون بالتواريخ لأن اهتمامهم الأكبر كان بمعرفة الأحساب والأنساب والأثر ، ولذلك كانوا يؤرخون للأحداث الهامة ، إذا كان الأمر خطيرا كيوم بعاث وعام الفيل وغيرهما . ولهذا نجد التواريخ عند العرب فى الزمن المتقدم فى الجاهلية وصدر الإسلام متضاربة وغير متفق على أكثرها حتى وضع المسلمون تاريخا ثابتا فى عهد عمر – رضى الله تعالى عنه – فقد أرخ بيوم الهجرة.

لأبويه – صلى الله عليه وآله وسلم – وتحقق هو فيها بقيت صورتها بلا روح لأن الفردية لا تتعين فى الشخص ولا تقتضى غير الشخص الواحد.

فلهذا تفرد – صلى الله عليه وآله وسلم – فيها فاقتضى الأمر موت أبويه وعدم إنتاجهما ولد آخر غيره لأن الحكم الإلهى والأمر الربانى إنما يفاض من حضرة الفردية والفرد المتعين فيها فلو كان أبواه فى الحياة لـزم إكرامهمـا ومراعاة حقوقهما ، ولهذا قال – صلى الله عليه وآله وسلم – : (لو أدركت والدى أو أحدهما وأنا فى صلاة العشاء قد قرأت فيها بفاتحة الكتاب ينادى يـا محمد لأجبته لبيك [1]) ذكره البيهقى فى شعب الإيمان.

وقال جعفر الصادق – رضى الله تعالى عنه – : (إنما يتم – صلى الله عليه وآله وسلم – لئلا يكون لمخلوق فى عنقه حق).

وهذه الحضرة العلية لها رتبة السيادة والإفاضة لا التوجه إلى الغـير سـوى حضرة الألوهية والتذلل والعبادة لها فلهذا ما كانت لأحد عليه العزة وفيه أمـر آخر وهو أن اليتم كما لا يقتضى غير الفرد الواحد فى مرتبته الفردية الـتى لا يتعين فيها غير الواحد الذى منه تنشأ الكثرة كـذلك فى الظـاهر فى الصـورة الحسية لا يتحقق إلا بقطع النظر عن النسب الخلقية والأوصاف الكونيـة بـل بالإعراض عن الوجوه الجزئية الأسمائية سوى وجه المسمى الذى يجمـع جميـع الوجوه الأسمائية ولا تتجلى الصورة الإلهية الأسمائية إلا على اليتيم الذى فنى فى

(١) رواه السيوطى فى الحاوى ٢/ ٤٠٤ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٥٥.

الله بذاته وصفاته[1].

وانقطع عن تعلق الكثرة الخلقية ، فلم يبق له سوى نسبة العبودية إلى حضرة الإلوهية ونسبة الفقر الذاتى إلى الله فلما اقتضى الأمر الإلهى ظهور الحق به – صلى الله عليه وآله وسلم – وتجليه له بالصورة الجمعية الأسمائية التى تقتضي كمال العبودية وكمال الشهود تحقق – صلى الله عليه وآله وسلم – باليتيمية فى الظاهر . فكان علما فى التسمي باليتيم ؛ لأن الفردية لا تتحقق فى الظاهر إلا باليتيمية ، وهذه رتبة محمدية لا تتحقق إلا بالإنسلاخ عن الأوصاف الخلقية والتحقق بالصورة الإلهية الأسمائية.

وإلى هذا أشار الحق تعالى بقوله : (ولا تقربوا ما اليتيم إلا بالتى هى أحسن) [الأنعام : ١٥٢] فاقتضى أمر الوجوب وأمر العبودية والاختصاص بالجناب الإلهى موت أبيه – صلى الله عليه وآله وسلم – واعلم أن الحق تعالى

---

(١) وهو ما يسمونه : مقام الجمع بين القربين : قرب الفرائض وقرب النوافل .

فالأول : عبارة عن فناء العبد بالكلية عن شعور جميع الموجودات حتى عن نفسه بحيث لم يبق فى نظره إلا وجود الحق سبحانه وتعالى وهو معنى فناء العبد فى الله تعالى وهو ثمرة الفرائض.

والثانى : عبارة عن زوال الصفة البشرية للعبد وظهور صفاته تعالى عليه.وهو ثمرة النوافل ينطق بذلك الحديث القدسى الذى رواه البخارى : (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما فرضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه).

لأبويه – صلى الله عليه وآله وسلم – وتحقق هو فيها بقيت صورتها بلا روح لأن الفردية لا تتعين فى الشخص ولا تقتضى غير الشخص الواحد.

فلهذا تفرد – صلى الله عليه وآله وسلم – فيها فاقتضى الأمر موت أبويه وعدم إنتاجهما ولد آخر غيره لأن الحكم الإلهى والأمر الربانى إنما يفاض من حضرة الفردية والفرد المتعين فيها فلو كان أبواه فى الحياة لـــزم إكرامهمـــا ومراعاة حقوقهما ، ولهذا قال – صلى الله عليه وآله وسلم – : (لو أدركت والدى أو أحدهما وأنا فى صلاة العشاء قد قرأت فيها بفاتحة الكتاب ينادى يـــا محمد لأجبته لبيك [1]) ذكره البيهقى فى شعب الإيمان.

وقال جعفر الصادق – رضى الله تعالى عنه – : (إنما يتم – صلى الله عليه وآله وسلم – لئلا يكون لمخلوق فى عنقه حق).

وهذه الحضرة العلية لها رتبة السيادة والإفاضة لا التوجه إلى الغـــير ســـوى حضرة الألوهية والتذلل والعبادة لها فلهذا ما كانت لأحد عليه العزة وفيه أمـــر آخر وهو أن اليتم كما لا يقتضى غير الفرد الواحد فى مرتبته الفردية الـــتى لا يتعين فيها غير الواحد الذى منه تنشأ الكثرة كـــذلك فى الظـــاهر فى الصـــورة الحسية لا يتحقق إلا بقطع النظر عن النسب الخلقية والأوصاف الكونيـــة بـــل بالإعراض عن الوجوه الجزئية الأسمائية سوى وجه المسمى الذى يجمـــع جميـــع الوجوه الأسمائية ولا تتجلى الصورة الإلهية الأسمائية إلا على اليتيم الذى فنى فى

---

(١) رواه السيوطى فى الحاوى ٢/ ٤٠٤ والمتقى الهندى فى كتر العمال ٤٥٥.

الله بذاته وصفاته[1].

وانقطع عن تعلق الكثرة الخلقية، فلم يبق له سوى نسبة العبودية إلى حضرة الإلوهية ونسبة الفقر الذاتي إلى الله فلما اقتضى الأمر الإلهي ظهور الحق به - صلى الله عليه وآله وسلم - وتجليه له بالصورة الجمعية الأسمائية التي تقتضي كمال العبودية وكمال الشهود تحقق - صلى الله عليه وآله وسلم - باليتيمية في الظاهر. فكان علما في التسمي باليتيم ؛ لأن الفردية لا تتحقق في الظاهر إلا باليتيمية ، وهذه رتبة محمدية لا تتحقق إلا بالإنسلاخ عن الأوصاف الخلقية والتحقق بالصورة الإلهية الأسمائية.

وإلى هذا أشار الحق تعالى بقوله : ﴿ ولا تقربوا ما اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ [الأنعام : ١٥٢] فاقتضى أمر الوجوب وأمر العبودية والاختصاص بالجناب الإلهي موت أبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - واعلم أن الحق تعالى

---

(١) وهو ما يسمونه : مقام الجمع بين القربين : قرب الفرائض وقرب النوافل .

فالأول : عبارة عن فناء العبد بالكلية عن شعور جميع الموجودات حتى عن نفسه بحيث لم يبق في نظره إلا وجود الحق سبحانه وتعالى وهو معنى فناء العبد في الله تعالى وهو ثمرة الفرائض.

والثاني : عبارة عن زوال الصفة البشرية للعبد وظهور صفاته تعالى عليه.وهو ثمرة النوافل ينطق بذلك الحديث القدسي الذي رواه البخاري : (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما فرضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه).

لما خلق سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – لإظهار الصورة الإلهية الأسمائية والصورة الكلية الكمالية لأجل الإفاضة والاستفاضة وعين فى الأزل على مقتضى علمه أن يكون عبدالله أبا وآمنة أما له على الصورة التى اقتضها حضرة الإلوهية واقتضاها الظهور المحمدى واقتضت الظهور منها على الصورة الكلية الكمالية المحمدية جعلهما أبوين له فظهر بالكمالات الكلية والمحاسن والأخلاق الفاضلة التى لم يظهر بها أحد من الآباء والأمهات من بنى آدم إذ أنتجا الصورة المحمدية التى ظهرت بجميع الكمالات الإلهية الأسمائية سوى الوجوب ، وظهرت فيها جميع الكمالات الإنسانية ، فلا يتوهم فى طهارة نسبة وطهارتهما إلا من بقيت عنده بقية من عرق اليهودية أو شعرة من نسب النصارى الذين ظهروا بالعداوة الكلية لسيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – وبعدم الانقياد إلى دين إبراهيم – عليه السلام – ودين محمد– صلى الله عليه وآله وسلم – .

وأعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

* * * * * * * * * * * * * * * * *

المطلع الخامس

فى إحياء أبويه وإيمانهما به تشريفا لهما

اعلم أن كثيرا من حفاظ المحدثين وغيرهم مثل : ابن شاهين والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى والسهيلى والقرطبى والمحب الطبرى والعلامة ناصر الدين ابن المنير وغيرهم ذهبوا إلى أن الله أحيا له أبويه. فآمنا به واستدلوا لذلك بحديث ضعيف. اسند عن عائشة – رضى الله تعالى عنها – قالت : حج بنا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – حجة الوداع فمر بعقبة الحجون وهو باك حزين مغتم ، فنزل فمكث عنى طويلا ، ثم عاد إلى وهو فرح مبتسم ، فقلت له فى ذلك فقال : (ذهبت لقبر أمى فسألت الله أن يحيها ، فأحياها فآمنت بى وردها الله).

وهذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين . بل قيل : إنه موضوع.

ولكن الصواب ضعفه وسبب الاختلاف فيه هو الاختلاف فى إحياء الله إياهما وإيمانهما به وكيفما كان لا نحتاج فى الاستدلال على إسلامهما بهذا الحديث ، سواء كان ضعيفا أو موضوعا لثبوت إسلامهما بالكتاب والأحاديث الصحيحة فى حياتهما ؛ لأنهما كانا على دين جدهما إبراهيم – عليه السلام – وقبضهما الله عليه ولاسيما بعد عبور الروح المحمدى والنور الأحمدى الذى هو الأكسير الأعظم والحجر المكرم فيهما وانتشار الجسم المحمدى الختمى منهما الذى منه ظهرت جميع الأحكام الإسلامية والأوصاف الكمالية المحمدية فثبوت

إحيائهما وإماتتهما بعد الإحياء يوجب تشريفهما بالإيمان به-خشا فقط فلا حاجة فى إثبات إسلامهما إلى الاحتجاج بذلك الحديث. فسقط الاعتراض بأنه موضوع ، بل يسقط الاستدلال على إيمانهما به لمن استند به على إيمانهما بعد الإحياء[1] فإنهما كانا مطرح الروح المحمدى ومطلع النور الصمدى الذى أشرف على المظاهر الكونية والأعيان الوجودية كلها.

---

(١) إن أبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم– ناجيان لأمرين :

الأول : كونهما عاشا وماتا على ملة إبراهيم – عليه السلام – فهما من الأمة المسلمة.

الثانى : كونهما من أهل الفترة. وأهل الفترة ناجون بفضل الله عز وجل كما ورد فى القرآن والسنة وقد ثبت حصول هذين الأمرين بالكتاب والسنة كما قال المؤلف.

وحديث السيدة عائشة – رضى الله تعالى عنها – عند بعض العلماء لا يقوى على الاستدلال به وحده لأنه حديث ضعيف. وإنما أوردوه فى هذا إضافة لما ثبت وقوعه بالقرآن وصحيح السنة فإحياء أبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم– لا يحيله العقل المسلم. يقول الإمام الشافعى – رضى الله تعالى عنه – إن حنين الجذع وبكائه أقوى من إحياء الموتى. وقال شهاب الدين الرملى فى فتاويه : وسبح الحصى فى كفه وسلم عليه الحجر وحن لفراقه الجذع وذلك أبلغ من تكليم الموتى لأن هذا من جنس ما لا يتكلم أ . هـ. إذ لا مانع من إحياء الله أبويه – صلى الله عليه وآله وسلم– مثل ما حدثته ذراع الشاة المسمومة . والله تعالى أعلم.

* * * * * * * * * * * * * * * * * *

المطلع السادس
فى الرد على من استدل بحديث مسلم
على أنهما فى النار وعدم جواز الحكم به على ذلك

روى مسلم عن أنس– رضى الله تعالى عنه– : أن رجلا قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال فى النار) فلما قام دعاه. قال : (إن أبي وأباك فى النار)[1].

وروى مسلم أيضا عن أبي هريرة – رضى الله تعالى عنه – : أنه – صلى الله عليه وآله وسلم– استأذن فى الاستغفار لأمه ، فلم يؤذن له).

اعلم أن لفظة قوله : (إن أبي وأباك فى النار) لم يتفق على ذكرها الرواة. وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه وهى الطريق التى رواه مسلم منها وقد خالفه معمر عن ثابت. فلم يذكر (إن أبي وأباك فى النار) ولكن قال : (إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار).

وهذا اللفظ لا دلالة فيه على أن والده – صلى الله عليه وآله وسلم– بأمر البتة.

وأخرج البزار والطبرانى والبيهقى : من طريق إبراهيم بن سعدى عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابيا قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال: فى النار. قال : حيث ما مررت بقبر كافر فبشره بالنار)[2].

---

(١) رواه أحمد فى المسند وأبو داوود فى السنن والبيهقى فى السنن الكبرى.

(٢) ورواه عبد الرزاق والسيوطى والبيهقى والهيثمى.

وهذا إسناده على شرط الشيخين فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره.

وقد زاد الطبرانى والبيهقى فى آخره. قال : فأسلم الأعرابى بعده. فقال: (لقد كلفنى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– تعبا ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار).

فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام. هو الذى صدر منه – صلى الله عليه وآله وسلم–

وأن الأعرابى بعد إسلامه رأى ذلك أمر مقتضيا للامتثال فلم يسعه إلا امتثاله. ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشئ البتة. فعلم ان اللفظ الأول من تصرف الرواى ،وغيره أثبت منه كذا ذكره السيوطى.

وقال أيضا : لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ كان معارضا بما تقدم من الأدلة والحديث الصحيح إذ عارضته أدلة أخرى أرجح منه. وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقرر فى الأصول.

وبهذا الجواب الآخر يجاب على حديث عدم الإذن فى الاستغفار لأمه على أنه يمكن فيه دعوى عدم الملازمة بدليل أنه كان فى صدر الإسلام ممنوعا عن الصلاة على من عليه دين وهو مسلم.

فلعلها كانت عليها تبعات غير الكفر فمنع الاستغفار لها بسببها[1].

---

(١) الأصح من هذا القول : أن أمه كانت على ملة إبراهيم وهى من أهل الفترة أى أنها ليست من أمته فلم تبلغها الدعوة. وهو لا يشفع فى الدنيا إلا لمن بلغتهم دعوته.وسوف تنال شفاعته فى الآخرة. ويجوز أنه لم يؤذن له فى بداية الدعوة ثم إذن له فيما بعد. وهذا نظيره كثير.

والجواب عن الآخر : أن العرب تقول للعم : أبا وللعمة أما . كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم- فى عمه العباس : (هذا بقية آبائى) وقال فيه أيضا : (ردوا عَلَيَّ أبي) الحديث.

وإطلاق ذلك كان عَلَى أبي طالب كان شائعا فى زمن النبى- صلى الله عليه وآله وسلم- ولهذا كانوا يقولون له : قل لابنك أن يرجع عن شتم آلهتنا. فكان تسمية أبي طالب أبا للنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - شائعا عندهم لكونه عمه ولكونه رباه وكفله فى صغره. وكان يحوطه ويحفظه وينصره. فيجوز أن يكون المراد من الأب فى قول السائل : فأين أبوك وقوله - صلى الله عليه وآله وسلم- فى حديث أنس :أن أبي . عمه صلى الله عليه وآله وسلم- نقل هذا عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدى فلا يكون الحديث نصا على كون أبيه - صلى الله عليه وآله وسلم- فى النار.

وقوله فى حديث الاستغفار (فلم يؤذن) له لا يكون نصا على عدم قبول الاستغفار منه لأمه لوجهين :

أحدهما : أن كون قبر أمه فى الحجون غير متفق عليه ؛ لأن الحديث الآخر يعارضه ؛ لأنه قيل : إن أمه آمنة ماتت بالأبواء وفى رواية : أنها دفنت بالحجون وفى بعضها : فى دار النابغة بمكة. فلا اتفاق فى كون قبرها بالحجون.

وقال الأزرقى فى تاريخ مكة : حدثنا محمد بن يحيى عن عبدالعزيز بن عمران عن هاشم بن عاصم الأسلمى قال : لما خرجت قريش إلى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم- فى غزوة أحد . فنزلوا بالأبواء قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان بن حرب : لو بحثتم قبر آمنة أم النبى - صلى الله عليه وآله وسلم- فإنه بالأبواء.

فإن أسر أحد منكم افتديتم به كل إنسان بإرب من آرابها. فذكر ذلـــك أبـــو سفيان لقريش. فقالت قريش: لا تفتح علينا هذا الباب إذا ينـــبش أبـــو بكـــر موتانا.

والوجه الثانى : أن عدم الإذن بالاستغفار لا يوجب كونهما من أهل النار لوجهين:

أحدهما : بالنسبة إلى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم- لأنه مأمور بدعوة الأحياء إلى الإيمان لا بدعوة الأموات الذين انتقلوا إلى البرزخ قبل بعثته والاستغفار لهم وإن كان يستغفر لهم من تلقاء نفسه أو لأنه كان يطلـــب الإذن بالاستغفار من غير وحى إلهى له به. والأولى والأجدى له أن يكون عند وحـــى ربه ولهذا قال تعالى : (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى) [الأحقاف : ٩] أو كان يطلب الإذن قبل مجئ الوقت ، وقيل القضـــاء بـــه ، وذلك من الاستعجال الطبيعى. ولهذا قال تعالى : (ولا تعجل بالقرآن من قبـــل أن يقضى إليك وحيه)[طه : ١١٤]. وقال تعالى : (خلق الإنسان من عجل سأوريكم أياتى فلا تستعجلون) [الأنبياء : ٣٧].

والثانى : بالنسبة إلى من طلب الإذن بالاستغفار له لعدم مجئ الوقت المعين له عندالله فيؤخر لاختصاصه بالوقت الآخر . فإذا جاء الوقت لا يؤخر. فيؤذن فيجوز أن لا يؤذون فى وقت. ويؤذن فى وقت آخر كما قالت عائشة – رضى الله تعالى عنها – : إن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم- نزل إلى الحجـــون كئيبا حزينا. فأقام به ماشاء الله ، ثم رجع مسرورا وقال : (سألت ربى عز وجل فأحيا لى أمى فآمنت بى ثم ردها).

ذكره الحافظ أبو حفص بن شاهين فى كتاب الناسخ والمنسوخ فيبطل القياس بالحديث الذى رواه مسلم فى عدم الإذن بالاستغفار على عدم الإذن لإبراهيم بالاستغفار لأبيه (آزر) والحكم به على أن أبويه ماتا بالشرك لعدم كونه نصا صريحا فى ذلك لمعارضته حديث عائشة له وعدم دلالته على عدم الإذن مطلقا للإذن له فى وقت آخر والاستغفار أيضا ما هو مخصوص بالمشرك والكافر بل هو شامل للمؤمن والكافر. والطائع والعاصى والولى والنبى كما قال تعالى : (واستغفر لذنبك وللؤمنين) [محمد : ١٩] وقال : (واستغفره إنه كان توابا) [النصر:٣].

فلا يحكم بعد الإذن بالاستغفار بشرك من لم يقع الإذن بالاستغفار له لجواز عدم وقوع الإذن له قبل استيفاء الجزاء من المؤمن الممتحن فلا يقاس على عدم الإذن لإبراهيم – عليه السلام – بالاستغفار لأبيه آزر. سواء كان آزر أبا له أو عما كما وقع الاختلاف فيه بل أقول : بعد هذا كله إن الحديث لا يدل على عدم طهارة أمه من الشرك بل يدل على طهارتها لأنه – صلى الله عليه وآله وسلم- كان على بصيرة بأن الله تعالى لا يغفر الشرك ولا يقبل الاستغفار منه للمشرك ولهذا نهى الله إبراهيم عن الاستغفار لأبيه آزر. بل ورد النهى الإلهى له – صلى الله عليه وآله وسلم- عن الاستغفار للمشركين كما قال تعالى : (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) [التوبة : ١١٣] فهو لا يستغفر للمشرك ؛ لأنه عند الوحى الإلهى لا غير فإذا صح طلبه الإذن بالاستغفار لأمه . عدم إشراكها. وعدم انتقالها على الشرك. لأن طلبه الإذن بالاستغفار فى حجة الوداع على ما قالت عائشة – رضى الله تعالى عنها-

وورد النهى له عن الاستغفار للمشركين قبل ذلك كما قال تعالى : (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) [التوبة : ٨٤].

فحينئذ إذا صح طلبه الإذن أن يستغفر لها لأنه صحت طهارتها عن دنس التلوث بالشرك وقد أمره الحق أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات كما قال فى سورة محمد (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم)[محمد : ١٩].

فهو مأمور بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات فما استغفر إلا لمن وقع له الإذن كاستغفاره لأمه. فطلبه الإذن لزيارتها إنما هو عند الإذن الإلهى والأمر الربانى لا غير. وهو يدل على طهارتها لأنه وقع له النهى عن القيام على قبر مشرك كما قال تعالى : (ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) [التوبة : ٨٤].

فلما طلب – صلى الله عليه وآله وسلم– الإذن بالاستغفار لأمه علم أنها قبضت فى الإسلام على الإيمان ؛ لأنه – صلى الله عليه وآله وسلم– لا يطلب المحال ولا الأمر الذى لا يرضى به ربه فجرد طلبه الإذن بالاستغفار لها فيه كفاية فى الدلالة على سعادتها سواء أذن فى الاستغفار لها أو لم يؤذن أو استغفر لها أو لم يستغفر فلا يستدل مسلم بحديث مسلم على أن أبويه – صلى الله عليه وآله وسلم– من أهل النار[1].

---

(١) إن مثل رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – عندما طلب الإذن بالاستغفار لأمه كمثل سيدنا موسى – عليه الصلاة والسلام – عندما طلب الرؤيا (قال رب أرنى أنظر=

وأما الحديث الذى أخرجه أحمد عن ابن رزين العقيلى قال : قلت يـا رسول الله أين أمى ؟ قال : (أمك فى النار) قلت : فأين من مضى من أهلك؟ قال: (أما ترضى أن تكون أمك مع أمى).

فلا يلزم منه أن تكون أم النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – فى النـار) وكذا الحديث الذى ورد فى سؤال شخص عن أبيه قال : (أبى وأبوك فى النار) فإن العرب تقول للعم : أبا كما تقول للعمة : أما وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – أنه كان يقول الجد أب. ويتلو قوله تعالى : (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق)[1][البقرة : ١٣٣].

وأخرج عن أبى العالية فى قوله تعالى : (وإله آبائك إبراهيم واسماعيـل واسحاق) قال : يسمى العم أبا.

وأخرج عن محمد بن كعب القرظى قال : الخال : والد ، والعم : والد. وتـلا هذه الآية. وأما حديث : (ليت شعرى ما فعل أبواى)[2] فنزلت (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) لم يخرج فى شئ من كتب الأحاديث المعتمدة.

=إليك قال لن ترانى) فلو لم يكن سيدنا موسى– عليه السلام – يعلم إمكان ذلـك مـا طلبها وكذلك سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – إذا لم يكن يعلم أن أمه من الأمة المسلمة وماتت على ملة إبراهيم ما طلب الإذن بالاستغفار لها وإذن الله له بزيارتها دليـل إسلامها لأنه نهاه عند زيارة المشركين (ولا تقم على قبره)

(١) هذا قول أبناء يعقوب لأبيهم ومعلوم أن إبراهيم جده واسماعيل عمه واسحاق أبـوه عليهم السلام ومع ذلك قالوا له : نعبد إلهك وإله آبائك. فالجد أب والعم أب.

(٢) رواه السيوطى فى الحاوى والدر المنثور والزبيدى فى اتحاف السادة المتقين.

وما ورد فى بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتمع به ولا يعول عليه.

والثابت فى الصحيحين أنها – أى الآية – فترلت فى أبى طالب.

وقال جلال الدين السيوطى : ثم إن هذا السبب مردود بوجوه أخر من جهة الأصول والبلاغة وأسرار البيان. وذلك أن الآيات من قبل هذه ومن بعدها كلها فى اليهود.

قوله تعالى (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون) [البقرة : ٤٠] إلى قوله : (وإذا ابتلى إبراهيم ربه) [البقرة : ١٢٤] ولهذا اختتمت القصة بمثل ما صدرت به. وهو قوله تعالى : (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) الآيتين.

فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم : كفار مكة وقد ورد ذلك مصرحا به فى الأثر.

وأما حديث : أن جبرائيل ضرب صدره وقال : لا تستغفر لمن مات مشركا.

فإن البزار أخرجه بسند فيه من لايعرف. وحديث : أنه قال لابنى مليكة (أمكما فى النار) فشق عليهما فدعاهما فقال : (إن أمى مع أمكما) فضعفه الدارقطنى وحلف الذهبى يمينا شرعيا بأنه ضعيف.

فالجواب عما ورد فى أم النبى – صلى الله عليه وآله وسلم– . أن غالب ما يروى من ذلك ضعيفا ولم يصح فى أم النبى – صلى الله عليه وآله وسلم –. إلا حديث مسلم خاصة. وقد أجبت عنه.

واعلم أنه لا دلالة فى تلك الأحاديث على وقوع الشرك من أبويه فكيف على موتهما عليه كما زعم البعض فثبت أنهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم الذين دعا إبراهيم لهم بالإسلام. ودعا ببعث الرسول فيهم منهم. فقبل الله دعوته، فحفظ ملته إلى بعثته – صلى الله عليه وآله وسلم – ، بل إلى يوم القيامة فبعث فيها الرسول – عليه الصلاة والسلام – فأحيا ملته وأمر بالدعوة إليها من حيث كونها شرعا فلما كان النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – سر إبراهيم فى قوة صلب أبيه والأصلاب التى فى صلب اسماعيل الذى ظهر من صلبه. كان شرعه – صلى الله عليه وآله وسلم – شرع إبراهيم – عليه السلام – ولبه فلهذا ظهر فيه . فما وقع الاندارس فى ملة إبراهيم – عليه السلام – ودينه بينه وبين بعثة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – وما وقعت الفترة من حيث ملته بل وقعت الفترة فيها من حيث حدوث الشرك والفساد من المتغلبين، وما وقع الفتح له لأنه – صلى الله عليه وآله وسلم – كان نتيجة دينه. أى كان صورة الانقياد الذى فى دين إبراهيم – عليه السلام.

فلهذا كان – صلى الله عليه وآله وسلم – أشبه الناس بإبراهيم عليه السلام بخلاف الشرع الذى فى أولاد إبراهيم ونسله من جهة اسحاق عليه السلام فى أنبياء بنى اسرائيل لأنه ختم بعيسى – عليه السلام – ونسخ بمحمد – صلى الله عليه وآله وسلم –. وذلك لأن إبراهيم إنما دعا عند البيت لبلد البيت والذرية الذين أسكنهم فيه. وما دعا لجميع ذريته فى جميع البلدان كما قال تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) [إبراهيم : ٣٥] وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن وهب بن

منبه: أن آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش فذكر الحديث بقوله : فى قصة بيت الله الحرام وفيه من قول الله لآدم فى حق إبراهيم عليهما السلام (واجعله أمة قانتا بأمرى داعيا إلى سبيلى. أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم واستحبب دعوته فى ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته) الحديث. وهذا الأمر موافق لقول مجاهد المذكور آنفا ولا شك أن ولاية البيت كانت مقرونة بأجداده – صلى الله عليه وآله وسلم – خاصة دون سائر ذرية إبراهيم عليه السلام إلى أن نزعها منهم عمرو الخزامى ، ثم عادت إليهم فعرف إن كان ما ذكر عن ذرية إبراهيم عليه السلام من خير فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النبوة واحدا بعد واحد . فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليه فى قوله تعالى : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى) [إبراهيم : ٤٤].

وقد سبق أنه أخرج ابن أبى حاتم عن سفيان بن عينية أنه سئل هل عبد أحد من ولد اسماعيل الأصنام ؟ قال : لا. ألم تسمع قوله : (واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام)[إبراهيم : ٣٥] قيل : فكيف لم يدخل ولد اسحاق وسائر ولد إبراهيم عليه السلام. قال : لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوها إذا أسكنهم إياها فقال : (رب اجعل هذا البلد آمنا) [إبراهيم : ٣٥] ولم يدع لجميع البلدان بذلك. فقال : (واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) فيه وقد خص أهله وذلك لتحصيل الاستعداد فى ذريته الذين أسكنهم عند البيت لظهور الصورة المحمدية التى كانت فى صلب أولاده وصلب ذريته فى القوة التى بها تحققت التجليات الذاتية التى لم تزل ولا تزال. فلهذا دعا إبراهيم ببعث الرسول –

صلى الله عليه وآله وسلم – فيهم منهم ذاتا وحكمة دنيا وآخرة. بخلاف التجليات الصفاتية التى كان اسحاق دعا لها وظهرت فى أنبياء بنى إسرائيل وختمت بعيسى عليه السلام –. وذلك لاضمحلال التجليات الصفاتية وعدم ظهور حكمها عند التجليات الذاتية. فلهذا أبطنت الملة الإبراهيمية والشريعة الخليلية عند ظهور الصورة المحمدية التى فيها التجليات الإلهية الذاتية التى كانت فى قوة إبراهيم وملته. وهى الانقياد إلى الله والظهور بأحكام الصفات والأخلاق الإلهية الثبوتية.

واعلم أن ظهور الصورة المحمدية والهيئة الجسمانية الحسية البشرية بين أبيه عبدالله وأمه آمنة إنما وقع بالوضع الإلهى وترتيب الله تعالى له. الأسباب من الآباء العلوية الفعلية الكلية وهى الحقائق الإلهية الفعلية والأرواح العلوية .ومن الأمهات السفلية وسائر الأسباب التى قدر الله بها ظهور تلك الصورة الكلية الكمالية المحمدية عند اجتماع الأسباب واتفاقها وأكمل جميع الأسباب له – صلى الله عليه وآله وسلم – وأتمها وأجمعها طهارة أبويه اللذين كانا كالوعائين لهذا النور اليتمى الأنور الأصفى إذ كانا كالمطلعين لهذا النور الإلهى الغيبى الأبهر الأسنى ونزاهتهما من الصفات الانحرافية . والكدورات الطبيعية المانعة له من ظهوره بتلك الصورة الكمالية الاعتدالية. فكانا من أتم أسباب هذه الصورة الكلية الكمالية المحمدية وأجمعها لأن الروح لا ينفخ فى كل مظهر خلقى إلا بحسب ذلك المظهر والتسوية والجسم الإنسانى لا يتعين فى رحم المرأة فى مادة العلة والمضغة التى ظهرت من النطفة إلا بحسب الأب الذى منه انفصلت النطفة على صورة أخلاقه وصفاته وسيرته وبحسب المرأة التى سقطت النطفة فى رحمها

وحسب أخلاقها وصفاتها وسيرتها وكينونة كل شئ فى شئ إنما تكون بحسب محل ذلك الشئ من الصفاء والكدورة فلابد لتكون الجسم المحمدى الأنور من لطافة المحل الأنور الأظهر وصفاته ونزاهته وتسويته. وهو وجهة أبويه لأن جسمه – صلى الله عليه وآله وسلم – ما تعين فيهما إلا بحسبهما فإن الحكيم لا يضع الأشياء إلا فى مواضعها. ولا يظهر الأمور إلا بحسب محالها فلهذا قال تعالى: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى) [الحجر : ٢٩].

وأظهر صفاتهما الإسلام والانقياد الذى دعا إبراهيم عليه السلام ببقائه فى ذريته ويظهر نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – بعثه فى صورته؛ لأن الصورة المحمدية لا تظهر ولا تتعين إلا فى الانقياد الكلى إلى الله وأعلى مراتب الانقياد وأقربها من حضرة الألوهية والانقياد الحاصل للعبد فى مرتبة قرب النوافل ومرتبة قرب الفرائض بإفناء صفات العبد وذاته[1] وظهور العون الإلهى والتجلى الربانى من حضرة الألوهية فيه فينقاد العبد الفانى بصفاته أو ذاته بالتجليات المفاضة عليه من حضرة الألوهية وحضرة الجمع الوجودى كما أشار إليه بقوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) والله يقول الحق ، وهو الهادى إلى السبيل القويم.

* * * * * * * * * * * * *

(١) بينا معنى ذلك فى هامش المطلع الرابع.

المطلع السابع

فى بيان الفترة وبيان أهلها وانقسامهم إلى أقسام

~~~~~~~~~

قيل بأن أهل الفترة هم : الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثانى كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – والفترة بهذا التقسيم تشمل ما بين كل رسولين.

ولكن الفقهاء إذا تكلموا فى الفترة فإنما يعنون التى بين عيسى والنبى عليهما الصلاة والسلام واعلم أن كينونة الفترة بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام إنما تتصور أن لو كانت رسالة عيسى عليه السلام إلى كافة الخلق كرسالة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – هى ليست كذلك فإن عيسى عليه السلام ما أرسل إلى العرب وذرية إسماعيل بل أرسل إلى بنى إسرائيل فقط كما قال تعالى : (ورسولا إلى بنى إسرائيل) [آل عمران : ٤٩].

فإذا أريد من الفترة على الوجه الثانى : اندراس شريعة عيسى عليه السلام لا يكون العرب قبل بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام من أهل الفترة لكونهم خارجين عن دعوة عيسى عليه السلام.

فهذا بالنسبة إلى اندراس شرعه ، وأما بالنسبة إلى عقائد النصارى وإجرائهم الأحكام التى شرعها عيسى عليه السلام لقومه فى زمان رسالته إلى بعثة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – فلاندراس فى شرعه أيضا فلا فترة بين
~~~~~~~~~

عيسى عليه السلام وسيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – بهذا الاعتبار لعدم اندراس شريعة عيسى عليه السلام.

واعلم أن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام باعتبار اندراس شريعة عيسى عليه السلام بالنسبة إلى قوم ثبتوا على الفترة الأصلية سواء كانوا أمة عيسى أو غيره.وشاهدوا بنور تلك الفطرة بطلان المذاهب المتفرقة التى أحدثها النصارى وحرفوا دين عيسى عليه السلام ولم يبق من شرعه الذى شرعه الله له وشرعه هو لأمته حكم شرعي. فلم يلتفتوا إلى أديانهم المنحرفة ومذاهبهم المعوجة لاندراس شرعه فى نظرهم. وهذا بالنسبة إلى نظرهم وإلى دين عيسى عليه السلام الذى حرفته النصارى وغيره بهذا الاعتبار لا يكون العرب من أهل الفترة.

وأما على الوجه الأول أى كون الفترة فى الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركهم الثانى كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – فى الفترة فى العرب بين زمان بعثة عيسى عليه السلام وزمان بعثة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – إنما هى بالنسبة إلى خلو العرب فى تلك المدة من الدعوة إلى الله والشرع الإلهى فى العموم وظهور الفساد فى الدين أو بالنسبة إلى الإرسال من الله لا غير؟ لأنهم قبل بعثة عيسى عليه السلام كانوا على الحال التى كانوا عليها بعد بعثته. سواء كان فى زمن الرسول الآخر الذى لم يرسل إليهم أو فى زمن خال عن الدعوة.

وأما إذا أريد من الفترة خلو الزمان عن الرسول والدعوة وخلوه من

الشرع الإلهى ظهور الفتنة والفترة فى الشرع الأول فالفترة تشمل الأزمنة التى غيرت فيها النصارى دين عيسى عليه السلام إلى بعثة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – والأزمنة التى بين عمرو الخزاعى وبين نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – فى العرب وفإن عمراً الخزاعى أحدث فى دين إبراهيم عليه السلام عبادة الأصنام فأظهر الفتنة فظهرت الفترة.

فإذا أريدت الفترة بين عيسى وسيدنا محمد – صلى الله عليهما وآله وسلم – إنما تراد من جهة الزمان الذى وقع بين شرعهما. الخلو عن الشرع الإلهى فى العموم ومن جهة عدم الإرسال فى أهل الجاهلية من العرب ويكونون من أهل الفترة بعد إحداث عمرو الخزاعى عبادة الأصنام وحملهم عليها لظهور الفتنة والفترة فى دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وأما بالنسبة إلى دعوة إبراهيم – عليه السلام – ببقاء كلمة التوحيد والإسلام فى ذريته وقبول الخلق دعوته وإبقائه إياها كما أخبر بقوله تعالى : (وجعلها كلمة باقية فى عقبه)[1] [الزخرف : ٢٨] وعدم زوال دين إبراهيم عليه السلام إلى بعثة نبينا سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – وعدم اندراسه فلا يقال لهم : أهل الفترة لبقاء دين إبراهيم عليه السلام بل يقال لهم :

(١) قال ابن عباس : لا إله إلا الله باقية فى عقب إبراهيم ، وقال مجاهد : لا إله إلا الله ، وقال قتادة : شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لايزال فى ذريته من يقولها من بعده. وقال عبدالرزاق فى تفسيره عن معمر عن قتادة قال : الإخلاص والتوحيد فى لا يزال فى ذريته من يوحد الله ويعبده. وأخرجه ابن المنذر وقال ابن جريج : لم يزل بعد من ذرية إبراهيم من يوحد الله ويعبده ذكره السيوطى فى الحاوى للفتاوى ج٢ ، ص : ٢١٦.

أهل الجاهلية لغلبة الجهل على الأكثرين لا الكل.

فأبوا النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – بهذا الاعتبار لا يكونان من أهل الفترة بل من الملة الحنيفية الخليلية.

ثم اعلم أهل الفترة عند الأكثر بين عيسى عليه السلام وسيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم –.

فإذا كانت الفترة من اندراس الشرع الأول فتكون بعد عيسى عليه السلام وفى بنى اسرائيل لا فى غيرهم. لاختصاص شريعة عيسى عليه السلام فى بنى إسرائيل فلا تقع الفترة فى الأمة الخارجة عن بنى إسرائيل مثل ذرية اسماعيل والأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى بزوال شريعة عيسى عليه السلام ولا بإرسال عيسى إلى بنى اسرائيل فى غير شمول رسالته لهم لأنه كما لم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام لن تبلغهم دعوة أحد من أنبياء بنى اسرائيل أيضا قبله.

فتعين أن الفترة إنما تقع من عدم رسالة أحد من الرسل وخلو الزمان عن الرسول الداعى إلى الحق وظهور الفتنة فى الدين الأول وغلبة الجهل على الناس وحينئذ تشمل الفترة الأزمنة التى بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام والأزمنة التى بعد حدوث الفتنة فى دين إبراهيم عليه السلام وبين بعثة سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – لظهور الفتنة والفترة فى دين إبراهيم عليه السلام وخلو الزمان عن المبلغ والزاجر وغلبة الجهل على الخلق لا غير.

وقال العالم المحقق جلال الدين السيوطى : فإن قلت : هذا المسلك الذى قررته هل هو عام فى أهل الجاهلية كلهم؟

قلت : لا بل هو خاص بمن لم تبلغه الدعوة. أى دعوة نبى أصلا أما من بلغته

منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصروا على الكفر فهو فى النار قطعا وهذا لا نزاع فيه.

وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد وذلك لمجموع أمور تأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين. فآخر الأنبياء قبل بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - عيسى عليه السلام. وكان الفترة بين بعثته وبعثة نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - نحو ستمائة سنة ، ثم إنهما كانا فى زمن جاهلية وقد طبق الجهل الأرض شرقا وغربا وفقدت من آل يعقوب الشرائع،ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا نفرا يسيرا من أهل الكتاب متفرقين فى أقطار الأرض فى الشام وغيرها ولم يعهد لهما تقلب فى الأسفار سوى المدينة ولا عَمَّرا عُمْرا طويلا بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش. فإن والد النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يعش من العمر إلا قليلا [1] انتهى كلامه.

فقوله : بل خاص بمن لم تبلغه الدعوة. أى دعوة نبى أصلا ، وأما من بلغته دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصر على كفره فهو فى النار قطعا وهذا لا نزاع فيه صحيح بالنسبة إلى أهل الجاهلية الذين أرسل إليهم رسولا وبلغتهم دعوته لا بالنسبة إلى أهل الجاهلية الذين أرسل فى زمانهم رسولا إلى بنى إسرائيل كعيسى عليه السلام ولم يرسل إليهم ولكن بلغتهم دعوته ، فإنه لم يجب عليهم الإيمان به لأنه ما أرسل إليهم فإن الله تعالى يقول : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) [الإسراء : ١٥] أى وما كنا معذبين فريقا حتى نبعث فيهم رسولا ؛

---

(١) الحاوى للفتاوى : ٢ / ٢٠٦ ، ٢٠٧.

فإنه ما بعث فيهم رسول بالحجة والبينة وما بلغتهم دعوة رسول لم يرسل إليهم لم يجب عليهم الإيمان به وما كانوا معذبين بعدم إيمانهم به لأنه ما هو رسولهم وما دعاهم إلى الإيمان وأن بلغتهم دعوته قوما أرسل إليهم فهم لا يخرجون عن حكم قوله : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا).

وقوله : وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد وذلك لمجموع أمور تأخر زمانهما. وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين غير موجه لأن عدم بلوغهما دعوة أحد من الأنبياء السابقين لتأخرهما بعدهما عنهم لا يوجب النقص لهما فى إسلامهما وإيمانهما. وكونهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم واسماعيل عليهما السلام الذين لا يرسل إليهم رسول إلا منهم ، ولا يجب عليهم الإيمان برسول آخر خارج عن ذرية اسماعيل عليه السلام الذى أرسل إلى قوم آخرين.

وقوله : فإن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – عيسى عليه السلام وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – نحو ستمائة سنة وإنهما كانا فى زمن الجاهلية وقد طبق الأرض شرقا وغربا وفقدت من آل يعقوب الشرائع ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا نفرا يسيرا من أحبار أهل الكتاب إلى آخر كلامه. غير موجه أيضا ؛ لأن وقوع أهل الفترة بين عيسى عليه السلام وبين بعثة نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – وبعدهما عن دعوة عيسى عليه السلام لا يوجب نقصهما فى رتبة الإسلام والانقياد التى قدر الله فيها أن يكونا أبوى النبى الذى جعله رحمة للعالمين بل لو بلغا زمان عيسى ودعوته لا يجب عليهما الإيمان به لعدم كونه مرسلا

إليهما لكونهما وعاءين لنبي يكون عيسى من أمته وخاتما لولايته وفقد الشـــرائع من آل يعقوب لا يوجب فقد شرع إبراهيم عليه السلام من جهة اسماعيل عليه السلام لأن إبراهيم عليه السلام دعا ببقائه بل يوجب ظهـــور ديـــن إبـــراهيم وإحيائه ببعثة خاتم النبيين من ذريته لانختام الشرائع من آل يعقوب بعيســى عليه السلام ولهذا ختم الله الشرائع فى بنى اسرائيل برسول روحانى ما جاء منه ولـــد يشير إلى ختام تلك الشرائع لأنه لم يبق بالقوة غير مجئ دورة الدولة المحمدية فى الشريعة الحنيفية والملة الإبراهيمية فإن اعتبرت الفترة زمان الجاهليـــة الـــذين لم يرسل إليهم رسول ، فأهلها كلهم داخلون فى حكم : (وما كنا معذبين حـــتى نبعث رسولا) فلا تعذيب قبل البعثة.

قال جلال الدين السيوطى فى كتاب المسالك له وقد اطبقـــت أئمتنـــا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية والفقهاء على أن من مـــات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا. قال : وفى قوله : (وما كنا معذبين) قبل البعثة رداً بها على المعتزلة ومن وافقهم فى تحكيم العقل.

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيره عن قتادة فى قوله تعـــالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) قال : إن الله ليس معذب أحدا حتى يسبق إليه من الله تعالى خبر وتأتيه من الله بينة أ - هـــ.

وإن اعتبرت الآيات التى دلت على دعوة إبراهيم عليـــه الســـلام - لذريته بالإسلام وبقاء ملته فى عقبه إلى بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - من ذريته وعدم زوال ملته. والأحاديث التى دلت على طهارة نسبه إلى آدم - عليه السلام فأبواه أولى بذلك وأحق من الكل لظهوره منهما علـــى الطهـــارة

الأصلية والنزاهة الذاتية الكلية التى اقتضت كونه مظهـــرا للصــــورة الإلهيـــة والجمعية الذاتية واقتضت نزول النسخة القرآنية الجامعة لجميع الكتب الإلهيـــة والحاوية لجميع الكمالات والأخلاق الكمالية الإنسانية على قلبه – صــــلى الله عليه وآله وسلم – .

قال الإمام الفاضل : الجلال السيوطى فى المسالك عن أبي عبدالله محمد ابن خلف شارح مسلم أنه قال : إن أهل الفترة ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من أدرك التوحيد ببصيرته ، ثم من هـــؤلاء مـــن لم يدخل فى شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دخـــل فى شريعة حق قائمة الرسم كَتُبَّع وقومه.

القسم الثانى : من بدل وغير وأشرك ولم يؤمن وشرع لنفسه وحلـــل وحرم ، وهو الأكثر كعمرو بن لحى أول من سن للعرب عبادة الأصنام وشرع الأحكام. فبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمىٰ الحامى.

وزادت طائفة من العرب على ما شرعه أن عبـــدوا الجـــن والملائكـــة وخرقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها جعلوا لها سدنة وحجابا يضـــاهون بهـــا الكعبة كاللات والعزى ومناة.

القسم الثالث : من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبى ، ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقى عمره على حال غفلة عن هذا كله، وفى الجاهلية من كان كذلك فانقسم أهل الفترة ثلاثة أقسام فيحمل من صـــح تعذيبه على أهل القسم الثانى لكفرهم بما لا يعذرون به وأما القسم الثالث فهم

أهل الفترة حقيقة. وهم غير معذبين للقطع كما تقدم.

وأما القسم الأول: فقد قال – صلى الله عليه وآله وسلم – فى كل واحد من : قس وزيد أنه يبعث أمة وحده وأما تبّع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق واحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين ا هـ.

وقال الشيخ – رضى الله تعالى عنه[1] – فى الفتوحات فى الباب العاشر: وأما مرتبة العالم الذى بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام – وهم أهل الفترة فهم على مراتب مختلفة بحسب ما يتجلى لهم من الأسماء عن علم منهم بذلك وعن غير علم ، فمنهم من وجد الله بما تجلى لقلبه عن فكرة ، وهو صاحب الدليل فهو على نور من ربه ممتزج يكون من أجل فكره. فهذا يبعث أمه وحده كقس بن ساعدة وأمثاله ، فإنه ذكر فى خطبته ما يدل على ذلك.

فإنه ذكر المخلوقات واعتباره بها وهذا هو الفكر.

ومنهم من وحد الله بنور وجده فى قلبه لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال فهم على نور من ربهم خالص غير ممتزج بكون، فهؤلاء يحشرون أخفياء أبرياء.

ومنهم من ألقى فى نفسه واطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره لخلوص تعينه على منزلة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمان آدم عليه السلام إلى وقت هذا المكاشف فآمن به فى عالم الغيب على شهادة منه وبينة من ربه وهو قوله تعالى : (أفمن كان على بينة من

---

(١) محى الدين بن عربى رحمه الله تعالى.

ربه ويتلوه شاهد منه)[هود : ١٧] يشهد له فى قلبه بصدق ما كوشف بـــه. فهذا يحشر يوم القيامة فى ضنائن خلقه وفى باطنيته – صـــلى الله عليـــه وآلـــه وسلم– ومنهم من تبع ملة حق ممن تقدمه كمن هود وتنصر واتبع ملة إبراهيم – عليه السلام – أو غيره من الأنبياء لما أعلم أنهم رسل من عند الله يدعون إلى الحق لطائفة مخصوصة ، فتبعهم وآمن بهم وسلك سننهم فحرم على نفســه مـا حرمه ذلك الرسول وتعبد نفسه مع الله بشريعته وإن كان ذلك لـــيس واجبــا عليه إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا إليه فهذا يحشر مع من تبعه يوم القيامة.

ومنهم من طالع فى كتب الأنبياء شرف محمد – صلى الله عليه وآله وسلم– ودينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وإن لم يدخل فى شرع نبى ممن تقدم وأتى بمكارم الأخلاق ، فهذا أيضا يحشر فى المؤمنين بمحمد – صـــلى الله عليه وآله وسلم – ومنهم من آمن بنبيه وأدرك نور محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – فآمن به ، فله أجران وهؤلاء كلهم سعداء عند الله.

ومنهم من عطل فلم يقر بوجود عن نظر فأصر ذلك القصور ، هو بـــالنظر إليه غاية قوته ، لضعف مزاجه عن قوة غيره.

ومنهم من عطل لا عن نظر بل عن تقليد ، فلذلك شقى مطلق.

ومنهم من أشرك لا عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذى تعطيه قوته.

ومنهم من أشرك لا عن استقصاء نظر ، فذلك شقى.

ومنهم من أشرك لا عن تقليد ، فذلك شقى.

ومنهم من عطل بعدما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التى هو عليها لضعفها.

ومنهم من عطل بعدما أثبت لا عن استقصاء فى النظر أو تقليد فذلك شقى.

فهذه كلها مراتب أهل الفترة الذين ذكرناهم فى هذا الباب . انتهى.

فإن قلت : كيف التوفيق بين كون البعض من أهل الفترة مشركا فى النار، وبين عدم التعذيب فى الفترة قبل مجئ الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – ؟

قلنا : إن كون بعضهم أهل النجاة والسعادة وبعضهم مشركا من أهل الشقاوة. إنما هو فى الفترة التى بين عيسى – عليه السلام – وبعثة نبينا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – ولكن أهل السعادة منهم كقس بن ساعدة وزيد ابن عمرو بن نفيل وغيرهما ممن تدين بالدين الإلهى منهم فهم أعم من أن يكونوا على دين موسى أو دين إبراهيم – عليهم السلام – أما أهل الشقاوة من أهل تلك الفترة . فهم يزعمون أنهم منتسبون لعيسى وشريعته ، وفقدت من بينهم مع وجود شرعه الذى شرعه لأمته فكيف بعد اندراس شرعه.

فالفترة بعد عيسى فى شريعته بالنسبة إلى الشرع الإلهى الذى نزل عليه، وبالنسبة إلينا لا بالنسبة إلى أمته المنتسبة إليه. فإنهم يزعمون أن شريعته ثابتة دائمة وأنهم على دين الحق فمن كان منهم فى تلك الفترة يعذب لأنه ما هو فاقد شريعته بزعمه بل رغم أنه عيسوى فصاحب هذا الاعتبار ما اندرست بحقه شريعة عيسى حتى يكون من أهل الفترة بل هو فى ذلك الوقت ما هو من أهل الفترة لادعائه الامتثال إلى عيسى – عليه السلام –.

والآية التى دلت على عدم التعذيب فى الفترة نزلت فى أهل الجاهلية من العرب وذرية إبراهيم عليه السلام فى الفترة التى ظهرت فى دينه بإحداث عمرو الخزاعى عبادة الأصنام فإنهم انتسبوا إلى شريعة عيسى – عليه السلام – بل

كانوا يدعون بزعمهم انتسابهم إلى إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – والمـراد من الرسول فى قوله تعالى : (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمهـا رسولا)[القصص : ٥٩] وفى قوله : (حتى نبعث رسولا)[الإسراء : ١٥] هو سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – ويدل على قوله تعالى : (ومـا كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسـولا يتلـو علـيهم آياتنـا) [القصص: ٥٩] فحال هؤلاء المشركين ليست كحال المشركين من النصـارى والمشركين من العرب بعد بعثة سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – فإنه ما بعث فيهم رسولا يمنعهم عن ذلك والنصارى يدعون الإشـراك فى الشـرع العيسوى ولكن بقيت فى قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعـث رسـولا) [دقيقة] : هى أن السلف من المفسرين وأئمة الاجتهاد ذهبوا إلى عدم تعذيبهم قبل مبعث الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – ولكن الظاهر أن المراد مـن العذاب هنا هو العذاب الدنيوى ، وهو الإهلاك بسبب الإشراك كما قال تعالى: (وما كان ربك مهلك القرى حتى نبعث فى أمها رسولا يتلو علـيهم آياتنـا) فحينئذ تكون الآية نصا فى عدم التعذيب والإهلاك فى الدنيا قبـل الرسـول – صلى الله عليه وآله وسلم – وقبل الدعوة إلى الله لا فى عـدم التعـذيب بعـد الموت، إلا أنهم – رضى الله تعالى عنهم – قاسوا على عدم التعذيب فى الـدنيا عدم التعذيب فى الآخرة أى لما لم تبلغهم بعثة الرسول – صلى الله عليـه وآلـه وسلم – وفى هذه الآية دقيقة أخرى : وهى قد ثبت فى الحديث عن أبي سـعيد الخدرى – رضى الله تعالى عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآلـه وسلم – : (يؤتى يوم القيامة بالهالك فى الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهـالك

عباده ، فحينئذ التعذيب لأهل الفترة فى الدنيا بالإهلاك قبل بعث الرسول إليهم لا يوجب عدم التعذيب مطلقا فى الآخرة ، بل يوجب عدم التعذيب قبل بعث الرسول إليهم ، فإنه من آمن منهم فقد سعد ونجا ومن تخلف فقد شقى ودخل النار. فلا يحكم على أحد منهم فى الدنيا بأنه فى النار يوم القيامة. بل يحكم عليه بعدم التعذيب كما قال تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[الإسراء : ١٥] فحينئذ تصير حال أهل الفترة فى الآخرة إلى دعوة الرسل إياهم يوم القيامة.

وأخرج الديلمى عن ابن عمر – رضى الله تعالى عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : (أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتى ثم الأقرب فالأقرب) [ضعفه ابن عدى فى الكامل ٢/٩٧].

وأورد المحب الطبرى فى ذخائر العقبى عن على رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : (يا معشر بنى هاشم والذى بعثنى بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم).

وأخرج أبو سعيد فى شرف النبوة عن عمر أن ابن حصين – رضى الله تعالى عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : (سألت ربى أن لا يدخل النار أحد من أهل بيتى فأعطانى ذلك).

وأخرج تمام الرازى فى فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : (إذا كان يوم

فى الفترة : لم يأتنى كتاب ولا رسول)[1] الحديث.

وحينئذ لا تعذيب لأهل الفترة فى الدنيا بالإهلاك قبل بعث الرسول إليهم، ولا تعذيب لهم أيضا فى الآخرة يوم القيامة قبل بعث الرسول إليهم.

يبعث الله لأصحاب الفترات والأطفال والمجانين يوم القيامة رسولا من أفضلهم وتمثل لهم نارا يأتى بها هذا الرسول المبعوث فى ذلك اليوم فيقول لهم : أنا رسول الحق إليكم فيقع عندهم التصديق به ، ويقع التكذيب عند بعضهم.

ويقول لهم : اقحموا هذه النار بأنفسكم فمن أطاعنى نجا ودخل الجنة ، ومن عصانى وخالف أمرى هلك وكان من أهل النار ، فمن امتثل منهم ورمى بنفسه فيها سعد ونال الثواب العملى ووجد تلك النار بردا وسلاما ، من عصاه استحق العقوبة فدخل النار ونزل فيها بعمله المخالف ليقوم العدل من الله فى

---

(١) أخرج البزار فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (يؤتى بالهالك فى الفترة والمعتوه والمولود ، فيقول : الهالك فى الفترة : لم يأتنى كتاب ولا رسول ويقول المعتوه : أى رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ، ويقول المولود : لم أدرك العمل - أى لم يبلغ سن التكليف - قال : فيرفع لهم نار ، فيقال لهم : ردوها أو قال : ادخلوها. فيدخلها من كان فى علم الله سعيداً لو أدرك العمل ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل. فيقول تبارك وتعالى : إياى عصيتم فكيف برسلى بالغيب).

قال الإمام السيوطى : فى إسناده عطيه العوفى - فيه ضعف - والترمذى يحسن حديثه - وهذا الحديث له شواهد تقتضى الحكم بحسنه وثبوته ا . هـ الحاوى للفتاوى ٢ / ٢٠٤ ثم ذكر أربعة أحاديث فى موضوعه تقويه.

القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي في الجاهلية)[1].

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – في قوله تعالى: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) [الضحى : ٥].

قال : من رِضَىَ محمد – صلى الله عليه وآله وسلم –أن لا يدخل أحد من اهل بيته النار فاعلم هذا.

* * * * * * * * * * * * * * * * *

(١) الحديث صحيح عند البخارى – رضى الله تعالى عنه – فقد رواه فى الصحيح (٩ : ٧٩) وقد رواه تمام من طريق ضعيف.

فصل : فى حدوث الشرك فى الفترة :

أخرج البزار فى مسنده بسند صحيح عن أنس – رضى الله تعالى عنه – قال : (كان الناس بعد اسماعيل عليه السلام فى الإسلام وكان الشيطان يحدث الناس بالشئ يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم فى التلبية : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

قال : فمازال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك).

قال السهيلى فى الروض الأنف : (كان عمرو بن لحى حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جُرهُماً عن مكة. قد جعلته العرب ربا. فما ابتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة. لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم فى الموسم).

وقد ذكر ابن اسحاق : أن أول من أدخل الأصنام الحرم وحملهم على عبادتها ، وكانت التلبية على عهد إبراهيم عليه السلام لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك – حتى كان عمرو بن لحى ، فبينما هو يلبى إذ تمثل له الشيطان فى صفة شيخ يلبى معه ، وقال عمرو : لبيك لا شريك لك. فقال الشيخ : إلا شريك هو لك. فأنكر ذلك عمرو وقال : ما هذا ؟ فقال الشيخ : تملكه وما ملك ، فإنه لا بأس بهذا. فقالها عمرو :فدانت بها العرب. انتهى كلام السهيلى.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير فى تاريخه : كانت العرب على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن ولى عمرو بن عامر الخزاعى مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد آل النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام ، وشرع للعرب الضلالات من السوائب

وغيرها[1] وزاد فى التلبية بعد قوله لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. فهو أول من قال ذلك. وتبعته العرب على الشرك فشابهوا بذلك قوم نوح – عليه السلام – وسائر الأمم السالفة.

ومنهم على ذلك بقايا على دين إبراهيم عليه السلام. وكانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاثمائة سنة. وكانت ولايتهم مشئومة. إلى أن جاء قصى جد النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فقاتلهم واستعان على حربهم بالعرب

---

(١) مما شرعه عمرو بن لحى الخزاعي للعرب من الضلالات هذه الأمور التى وردت فى كتب التفسير والحديث والفقه منها : حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى عن ابن المسيب فى قوله تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)[المائدة : ١٠٣] قال : البحيرة من الأبل التى يمنع درها – لبنها – للطواغيت – الأصنام – والسائبة من الإبل ما كانوا يسبونها لطواغيتهم.والوصيلة من الإبل : ما كانت الناقة تبتكر بأنثى ثم تثنى بأنثى فيسمونها الوصيلة يقولون وصلت اثنتين ليس بينهما ذكر وكانوا يجدعونها لطواغيتهم والحامى. الفحل من الإبل كان يضرب الضراب – أى النزو على الأنثى – المعدودة. فإذا بلغ ذلك قالوا : هذا حامى حمى ظهره فسموه : الحامى.

وروى أيضا عن قتادة قال : البحيرة من الإبل : كانت الناقة إذا نتجت خمسة بطون فإذا كان الخامس ذكراً كان للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى بتكوا أذنها ثم أرسلوها فلم يجزوا لها وبرها ولم يشربوا لها لبنا ولم يركبوا لها ظهراً. وإن كانت ميتة . فهم فيها شركاء الرجال والنساء ، وأما السائبة فإنهم كانوا يسبون بعض إبلهم فلا تمنع حوضا أن تشرع فيه. ولا مرعى أن ترعى فيه ، والوصيلة : الشاة كانت إذا ولدت سبعة بطون فإذا كان السابع ذكرا ذبح وأكله الرجال دون النساء وإن كانت انثى تركت. وإن كانت ذكراً أو انثى قالوا وصلت أخاها. فترك لا يذبح ا.هـ تفسير عبدالرزاق : ج٢ ، ص : ٣٠– ٣٢.

وانتزع ولاية البيت منهم.

إلا أن العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدث لها عمرو الخزاعى من عبادة الأوثان وغيرهم وذلك لأنهم رأوا ذلك دينا فى نفسه لا ينبغى أن يغير. انتهى كلامه.

واعلم أنه لا يلزم من انتزاع عمرو الخزاعي ولاية البيت من أجداد النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – وإحداثه عبادة الأصنام. إشراك جميع العرب وعبادتهم لها مدة ولايته لقوله – صلى الله عليه وآله وسلم – كل العرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم القائل : (رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) [إبراهيم : ٣٥] فكيف بعد انتزاع ولاية البيت من خزاعة.

فلهذا غار قصى جد النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – على دين إبراهيم. واستعان على حرب خزاعة بالعرب فأعانوه. وانتزع ولاية البيت منهم ، فلو كان العرب كلهم على الاشراك الذى أحدثه عمرو الخزاعى لما أعانوا على دين إبراهيم عليه السلام وأزالوا المشركين من خزاعة عن البيت لكن العوام والجهلة مارجعوا عما أحدث عمرو من عبادة الأصنام فمنهم بقى الشرك فى العرب إلى بعث النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – وبقى دين إبراهيم فى خواص العرب وآباء النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – كما دعا إبراهيم عليه السلام وأخبر الله تعالى عن بقائه قال تعالى : (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) [الزخرف : ٢٨] والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

* * * * * * * * * * * * * * * * * *

وأخرج البيهقى وأبو نعيم كلاهما فى الدلائل من طريق الشعبى عن شيخ ابن حمير بن حسب الجهنى أنه ترك الشرك فى الجاهلية وصلى لله تعالى وعاش حتى أدرك الإسلام. انتهى كلام السيوطى.

أقول إثبات دين إبراهيم – عليه السلام – فى زمن الجاهلية بثبوت توحيد البعض من أهل تلك الفترة وتركهم عبادة الأصنام يلزم أن لو ثبت شرك جميع الناس من ذرية إبراهيم – عليه السلام – وغيرهم بعد حدوث الشرك بعمرو الخزاعى فيهم. وهذا غير ثابت. بل الثابت بشهادة الله تعالى بقوله: (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) [إبراهيم : ٣٥] بقاء الإسلام والتوحيد فى ذريته إلى بعثة نبينا سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم –. وهو الأصل الثابت الذى شرعه الله للناس كما قال الله تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم) [الشورى : ١٣] والشرك بين العرب إنما أحدثه عمرو الخزاعى[١] وحمل الناس على عبادة الأصنام وهو وضع المخلوق لا إثبات له ولا قيام لا فى الحقيقة ولا فى الظاهر لضعف واضعه وعدم سريانه فى جميع الناس وعدم تأثيره فى من ظهر به فهو فى الزوال. فليست له قوة المقاومة للدين الإلهى الذى وضعه الله للناس ورسخه فى قلوبهم.

---

(١) قال الشهرستانى فى الملل والنحل : كان دين إبراهيم قائما والتوحيد فى صدر العرب شائعا وأول من غيره واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحى – الخزاعى – أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : رأيت عمرو ابن عامر الخزاعى يجر قصبه – أمعاءه – فى النار كان أول من سيب السوائب) وروى أحمد مثله.

المطلع الثامن

فى بيان من بقى على دين إبراهيم عليه السلام فى الفترة

قال جلال الدين السيوطى : قد ثبت عن جماعة كانوا فى زمن الجاهلية إنهم تحنفوا وتدينوا بدين إبراهيم – عليه السلام – وتركوا الشرك. فما المانع أن يكون أبوا النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – سلكا مسلكهم فى ذلك.

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى فى التلقيح فى تسمية من رفض عبادة الأصنام فى الجاهلية أبو بكر الصديق – رضى الله تعالى عنه –. وزيد بن عمرو ابن نفيل ، وعبدالله بن جحش – رضى الله تعالى عنه – وعثمان بن الحويرث ، وورقة بن نوفل ، ورباب بن البزار وسعد بن كهريب الحمرى وقس بن ساعدة الآيادى وأبو قيس بن صرمه أ.هـ.

وقد وردت الأحاديث بتحنيف زيد بن عمرو ، وورقة ، قس ، وقد روى ابن اسحاق وأصله فى الصحيح تعليقا. عن أسماء بنت أبى بكر – رضى الله تعالى عنهما – قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره إلى الكعبة يقول : با معشر قريش ، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول اللهم إن أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكن لا أعلم.

قلت : وهذا يؤيد ما تقدم فى المسلك الأول إنه لم يبق إذ ذاك من تبلغه الدعوة ويعرف حقيقتها على وجهها.

وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة عن عمرو بن عبدالله السلمى قال : رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية ورأيت أنها باطل يعبدون الحجارة.

وطلب إبراهيم – عليه السلام – من الله بقاءه فى ذريته وأجــاب الله دعوتــه ولاسيما فى ذرية إبراهيم – عليه السلام – من آباء النبى– صلى الله عليه وآله وسلم – وأصوله لأن عمرا المذكور لما حكم على البيت وأدخل فيه الأصنام.

وحمل الناس على عبادتها فبعضهم عبدوها بالإكراه. وبعضهم عبدوها تبعــا لهواه وهم العوام والجهال الذين لا يخلو زمان من الأزمنة من أمثالهم. وبعضــهم ما عبدوها بل ثبتوا على دين إبراهيم – عليه السلام – فلم تسر عبادة الأصنام فى العرب كلهم. ولم يرد النص إلا بوجود الشرك فى تلك الفترة فقط لثبــوت الإسلام ورسوخه فى قلوب الناس ، وثبوتهم على الدين الإلهى فإن ذلك لا يمكن وقوعه بالإكراه الذى رخصه الله للمؤمنين فإنا شاهدنا أهل الأندلس عند غلبــة الكفار عليهم وإكراههم على الكفر وعبادة الأصنام فإنهم ثبتوا بقلوبهم علــى دين الإسلام وما أخرجهم إكراههم ولا زجرهم عن الإسلام.

فلما رأى الكفار ذلك منهم خافوا على دولتــهم. فــأخرجوهم مــن ديارهم إلى دار الإسلام وكذلك أهل السنة والجماعة فى ديار العجم بغلبة أهل الرفض عليهم. ماتركوا مذهبهم ودين الإسلام الذى دانــت بــه آبــاؤهم إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – مع وقوع الزجر لهم علــى ذلــك واختيارهم الملامة والمذلة . فكذلك الشرك فى الجاهلية ما سرى فى الناس كلهم لرسوخ دين إبراهيم عليه السلام وبقائه بل فى بعضهم وهم أيضا ما ثبتوا عليــه لرسوخ الإسلام الذى هو دين إبراهيم – عليه السلام – فى قلــوبهم وكــون آبائهم عليه فيمكن لبعضهم أن يتركوا الشرك ويعبدوا الله على دين إبــراهيم عليه السلام – كما وقع فى الخبر عن البعض لعدم إنكارهم الألوهية وديــن

إبراهيم – عليه السلام – وكونهم على الفطرة الأصلية التى فطرهم الله عليها.

فوقع الشرك فى الجاهلية لا يوجب ثبوت شرك الناس كلهم فى تلك المدة ولا يوجب ثبات المشرك عليه وانتقاله عليه لإمكان رجوعه منه ورجحان حضرة الإلوهية عليه فى قلبه إذا نظر إليها كما نقل عن زيد بن عمرو بن نفيل. ومن انتقل منهم على عبادة الأصنام والشرك فحاله ما هو مثل حال المشرك بعد بعثة الرسول، وعدم إيمانه به لأنه ما أنكر الربيوبية بل ركب بزعمه فى الأصنام أنها عباد الله شفعا عنده فيشفعوا له وما أنكر الرسول لأنه ما أرسل إليه رسول فهو صاحب عذر، ولا يعذب الله أحدا عند إقامته العذر. قال الله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[الإسراء : ١٥]. فحال الفترة من أهل الشرك لا يقتضى أن يدخلوا النار حتى يرسل الله إليهم يوم القيامة رسولا يدعوهم إلى الله. فمن يطع الرسول آمن من النار وأدخل الجنة ومن لم يطع يسحب إلى النار. وهذا هو الحكم فى أهل الفترة فى عاقبة أمرهم بمقتضى النص النبوى.

فإثبات الإسلام والتوحيد فى ذرية إبراهيم عليه السلام وعدم شمول الشرك جميع ذريته من بعده إلى بعثة سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – على ما دلت عليه النصوص الإلهية والدلائل القطعية أحسن فى إسلام أبوى الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – وتوحيدهما من إثبات فقدان الإسلام فى ذرية إبراهيم – عليه السلام – فى الجاهلية وعدم بقاء من بلغته الدعوة وعرف حقيقتها على وجهها والاعتذار عنهما لأنهما كانا فى زمن الجاهلية.

وقد طبق الشرك الأرض شرقا وغربا وفقدت من آل يعقوب الشرائع ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا تفسيرا من أحبار أهل الكتاب مفرقين فى أقطار

الأرض فى الشام وغيرها. ولم يعهد لها تقلب فى الأسفار سوى المدينة ولا عَمَّرا عَمْراً طويلا بحيث يقع لهما التنقيب والتفتيش فى غير ذلك. وحملها على من تحنف وتدين بدين إبراهيم – عليه السلام – فى الجاهلية كزيد بن عمرو بن نفيل وغيره لثبوت الأصل الذى شرعه الله تعالى وهو الإسلام وبقائه فى عقب إبراهيم بالنص وسريانه فى الناس كلهم من ذريته قبل حدوث الشرك هو وضع المخلوق فى أفراد من أهل الجاهلية لا فى الكل لعدم سريانه فى الكل لثبوت بقاء الإسلام فى ذريته فلا يقاوم الأصل الذى هو الإسلام ، فلا يحكم بإسلامهم على خلو الزمان من الإسلام قبل إسلامهم إلا أريد من بيان إسلامهم بقاء الإسلام وثباته فى ذرية إبراهيم عليه السلام وعدم خلو الزمان عن الإسلام قبل البعثة المحمدية ، فأهل الإسلام فى الجاهلية بعد إحداث عمرو الخزاعى الشرك وتغييره دين إبراهيم فى العموم على نوعين :

الأول : ثبوتهم على دين إبراهيم عليه السلام من غير تغيير ولا انحراف كثبوت نبينا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – قبل الانبعاث.

والثانى : تدينهم وتحنفهم به بعد الإدراك ، فلا يلزم من كون زيد بن عمرو ، وورقة بن نوفل وغيرهما على دين إبراهيم عليه السلام وتدينهما به عدم وجود دين إبراهيم – عليه السلام – وعدم تدين أحد به غيرهما. بل يلزم الثبوت على دين إبراهيم – عليه السلام – لمن كان منهم من ذرية إبراهيم – عليه السلام – وأما من لم يكن من ذريته فيجوز الثبوت على الأصل الذى هو دين إبراهيم – عليه السلام – ويجوز التحنف والتدين ، وإنما قلنا فأهل الإسلام

فى الجاهلية على نوعين لأن أهل الإسلام فى الجاهلية إلى بعثة النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – كانوا على أربعة أنواع :

الأول: كانوا على دين إبراهيم – عليه السلام – من غير تغيير ولا انحراف.

الثانى : تدينهم بدين إبراهيم – عليه السلام – بعد تركهم عبادة الأصنام.

الثالث : تركهم الشرك ودخولهم فى دين موسى عليه السلام.

الرابع : دخولهم فى دين عيسى – عليه السلام – كما قيل فى ورقة أنه تنصر فى الجاهلية[1]. وقيل : فى تبّع أنه تهود. وذلك فى أهل الجاهلية.

واعلم أن ثبوت الإسلام والتوحيد فى ذرية إبراهيم – عليه السلام – إلى بعثة نبينا سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – بثبوت إسلام زيد بن عمرو بن نفيل. وورقة بن نوفل وغيرهما وكونهما على دين إبراهيم – عليه السلام – الذى دعا إبراهيم – عليه السلام – ببقائه فى ذريته. وأولى من ثبوت إسلامهما وتدينهما بدين إبراهيم عليه السلام وحمل أبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – فى الإسلام عليهما وعلى كلا الوجهين لا تخلو الأزمنة التى بين إبراهيم عليه السلام وبين بعثة نبينا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – عن الإسلام وممن قام به الإسلام وأقامه. سواء كان وجود الإسلام بالتدين والتحنف بعد الشرك أو كان وجوده ببقائه من زمن إبراهيم – عليه السلام – إلى زمان بعثة سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – وعدم زواله كما قال تعالى : (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) الآية.

---

(١) القول الحق : أن ورقة بن نوفل كان متحنفا على دين سيدنا إبراهيم عليه السلام إلا أنه كان يقرأ فى كتب النصارى فهو لم يكن نصرانيا ولكن من الحنفاء.

واعلم أن إبراهيم – عليه السلام – لما طلب من الله فى النداء أن يجعله مع ولده إسماعيل – عليه السلام – من المسلمين ويجعل ذريته أمة مسلمة لـــه ، وطلب من الله تعالى بقاء الإسلام والتوحيد منهم وبعثة سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – فيهم منهم قبل الله دعاءه فأبقى الإسلام وكلمة التوحيد فى ذريته وأثبت ذريته فى ملته ، وملته فى ذريته إلى بعثته – صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم – كما قال جل جلاله : (وجعلها كلمة باقية فى عقبه).

فثبوت إسلام آبائه كلهم وسعادتهم من لدن دعوة إبراهيم عليه السلام – مدرج فى ثبوت رسالته – صلى الله عليه وآله وسلم – من الله بـــالمعجزات الظاهرة والكتاب الذى جاء به من عند الله الذى دل على نبوته ، وعلى طهارة نسبه ، والعجب أنه ما صدقه فى ذلك القوم الذين اتبعوه وما اهتدوا إلى معرفة طهارة نسبه التى نطق بها الكتاب الذى جاء به من عند الله فلا يتـــوهم مـــؤمن مصدق بالله ورسوله والكتاب الذى جاء به فى حق آبائه – صلى الله عليه وآله وسلم – غير ما تقتضيه حضرة الربوبية للمعرفة والعبادة ، وتقتضـــيه حضـــرة العبودية المحمدية – صلى الله عليه وآله وسلم – للعبادة والاستفاضة ، واستترل الفيض الإلهى المختص بحضرة الجمع والوجود وحضرات الكرم والجود علـــى مظاهر الممكنات فى بقعة الإمكان لأجل الظهور والشهود.

قال السهـــيلى رحمه الله فى الروض الأنف فى الحديث النبـــوى : (لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين)[1].

---

(١) رواه السيوطى فى الحاوى : ٢ / ٢١٨ ، وابن سعد فى الطبقات : ١ / ٣٠ .

وأخرج أبو بكر : محمد بن خلف المعروف بوكيع فى كتاب الغرر من الأخبار قال : حدثنا اسحاق بن داود بن عيسى المروزى وأبو يعقوب الفراء قال سليمان عبدالرحمن الدمشقى : حدثنا عثمان بن قائد عن يحيى بن طلحة بن عبدالله عن اسماعيل بن محمد بن أبى وقاص عن عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق – رضى الله تعالى عنهم أجمعين – عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– قال : (لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين).

وأخرج بسنده عن عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبيها أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : (لا تسبوا تميما ولا ضبة فإنهما كانا مسلمين) ، وأخرج بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : (لا تسبوا قسا فإنه كان مسلما).

ثم قال السهيلى : ونذكر عن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم– أنه قال : (لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا).

وذكر أنه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى – صلى الله عليه وآله وسلم–.

قال : وكعب بن لوئ أول من جمع يوم العروبة ، وقيل : هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه فى هذا اليوم فى خطبهم.ويذكرهم بمبعث النبى – صلى الله عليه وآله وسلم– ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به قال : وقد ذكر الماوردى هذا الخبر عن كعب فى كتاب الأعلام له قال السيوطى : هذا الخبر أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة بسنده عن أبى سلمة ابن عبدالرحمن بن عوف وفى آخره : (كان بين موت كعب ومبعث النبى – صلى الله عليه وآله وسلم– خمسمائة سنة).

والماوردى المذكور هو أحد أئمة أصحابنا الشافعية — وهـو صـاحب الحاوى الكبير وله كتاب أعلام النبوة فى مجلد كثير الفوائد. وقد رأيته وسأنقل عنه فى هذا الكتاب[1].

فحصل مما أوردنا أن آباء النبى — صلى الله عليه وآله وسلم— من عند إبراهيم — عليه السلام — إلى كعب بن لؤى كانوا كلهم على دين إبـراهيم — عليه السلام — والظاهر أنه كذلك ،وبقى بينه وبين عبدالمطلب أربعة آباء هم : كلاب ، وقصى ، وعبدمناف ، وهاشم ، ولم يظهر فيهم نقل لا بهذا ولا بهذا.

وأما عبدالمطلب : ففيه ثلاثة أقوال :

أحدهما : هو الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة لأجل الحديث الذى فى البخـارى وغيره.

والثانى : إنه على التوحيد وملة إبراهيم. وهذا ظاهر من كلام فخـر الدين . وما تقدم عن مجاهد وسفيان بن عينية وغيرهما فى تفسير الآيات السابقة.

والثالث : أن الله أحياه بعد بعثة النبى — صلى الله عليه وآله وسلم— حتى آمن به وأسلم ، ثم مات حكاه ابن سيد الناس. وهذا اضـعف الأقـوال وأسقطها وأوهاها لأنه لا دليل عليه ، ولم يرد قـط فى حـديث ضـعيف ولا غيره.ولا قال هذا القول من أئمة السنة وإنما حكوه عن بعض الشـيعة ولهـذا

---

(١) وله : (تفسير القرآن الكريم) ، وكتاب (الأحكام السلطانية) ، وكتـاب (أدب الدين الدنيا).

اختصر غالب المصنفين على حكاية القولين الأولين وسكتوا عن حكاية الثالث انتهى كلامه.

واعلم أن عبد المطلب الذى كان وعاء لسيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم– كان على دين إبراهيم – عليه السلام – وهو الإسلام والانقياد إلى الله تعالى الذى يقتضى ظهور الصورة المحمدية الكلية فيه وتعين الصورة المحمدية الحسية البشرية منه ، فإن النور المحمدى والسر الأحمدى كان قد هجم على سره وقلبه ؛ لأنه كان فى ظهره وصلبه. ولاسيما قد قرب طلوع شمس الأحدية ، وبان وقت إشراق نور الصمدية من سره وصلبه فتحقق الانقياد إلى حضرة الربوبية ، وبالعبودية التى تقتضى ظهور ابنه عبدالله على صورته وسره ، فمن آمن بالله ورسوله الذى انبعث من حضرة الفردية على الصورة الكلية الإلهية الكمالية يؤمن بطهارة أصوله الذين كانوا محاجل لتلك الصورة المحمدية ؛ لأن الفرع يدل على الأصل والجزء يدل على الكل ، وبه نستعين فى الجمع والفرق وعليه نعتمد فى الرتق والفتق[1].

---

(١) قال السهيلى فى الروض الأنف : وجدت فى بعض كتب المسعودى اختلافا فى عبدالمطلب ، وأنه قد قيل فيه مات مسلما ، لما رأى من الدلائل على نبوة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – . وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد. فالله تعالى أعلم غير أن فى مسند البزار ، وكتاب النسائى من حديث : عبدالله بن عمرو أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال لفاطمة – رضى الله تعالى عنها – وقد عزت قوما من الأنصار عن ميتهم: (لعلك بلغت معهم الكدى – أى المقابر) فقالت : لا. فقال : (لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك). قال : وقد خرجه أبو داود، ولم يذكر=

= فيه (حتى يراها جد أبيك). قال : وفى قوله (جد أبيك) ولم يقـل : جـدك. تقويـة للحديث الضعيف الذى قدمنا ذكره : (أن الله أحيا أباه وأمه وآمنا به) والله اعلم.

قال : ويحتمل أنه أراد تخويفها بذلك. لأن قوله – صلى الله عليه وآله وسلم – حق. وبلوغها معهم الكدى لا يوجب خلودا فى النار ا- هـ كلام السهيلى.

ولنا أن نقول : إن المعصية وهى الذهاب للمقابر لا توجب دخول النار والخلود فيها ؛ لأن الخلود فى النار للكافر والمشرك وقول النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – هذه العبارة : (ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك) للسيدة فاطمة يدل على نجاة عبدالمطلب وأنه ليس ممن يخلدون فى النار وهذا معناه أنه عاش علىالإيمان والتوحيد ومات على ذلك. والله أعلم.

وقال الشهرستانى فى الملل والنحل : ظهور نور النبى أسارير عبدالمطلب بعـض الظهـور. وببركة ذلك النور ألهم النذر فى ذبح ولده ، وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغـى ويحثهم علي مكارم الأخلاق. وينهاهم عن دنيات الأمور وببركة ذلك النور كان يقول فى وصاياه : أنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه ، وتصيبه عقوبة. إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة. فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار. دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ، ويعاقب فيها المسئ بإساءته. وببركة ذلك النور قال لأبرهة : إن لهذا البيت ربا يحفظه وقال :

لاهم إن المرء يمنع .... رحله فامنع رحـالـك

لا يغلبن صليبهم .... ومحـالهـم يوما محالك

وانصر على آل .... الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كانت الدية عشرا من الإبل وعبدالمطلب أو لمـن سن دية النفس مائة من الإبل فجرت قريش والعرب مائة من الإبل ، وأقرها رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –. =

المطلع التاسع

فى عدم التعذيب لمن مات فى الفترة

اعلم أن أهل الفترة الذين خلت أزمنتهم عن الشرع الإلهى المنزل على الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – لاندراس الأحكام الشرعية التى تحققت بالوحى الإلهى وعدم مجئ الرسول إليهم وعدم إيمانهم به وكانوا على الفترة الأصلية لا تعذيب لهم فى الدنيا قبل مجئ الرسول إليهم ولا تعذيب لهم أيضا فى الآخرة قبل مبعث الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – فيهم وقبل الامتحان يوم القيامة كما قال تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) أى لا تعذيب لأهل الفترة حتى نبعث رسولا بالدعوة الإلهية والحجة الربانية لعدم مجئ الرسول إليهم بالأمر والنهى وعدم وقوع العناد والتكذيب للرسول منهم. لأنهم كانوا على الفطرة الأزلية والإيمان السنى الروحى.

واعلم أن الحكمة والشرائع المخصوصة والأديان المخترعة التى اخترعها أرباب الرياضات الشاقة من العقلاء والحكماء فى أزمنة الفترات عند فقد الأنبياء والشرائع الإلهية المنزلة عليهم ولاسيما فى الفترة التى بين عيسى وبعثة سيدنا محمد – صلى الله عليهما وسلم – بالذوق الروحانى وصفاء بواطنهم.

= وقد قال النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – فى يوم حنين :

أنا النبى لا كذب * * * * أنا ابن عبد المطلب

والنبى – صلى الله عليه وآله وسلم – لا ينسب نفسه لمشرك فهذا يدل على أن عبدالمطلب كان من الأمة المسلمة على دين جده سيدنا إبراهيم – عليه السلام – والله اعلم.

فإنهم لما شاهدوا مقام عبوديتهم ، وما اقتضت حضرة الربوبية من العبادة بالأنوار اللامعة من بواطنهم النقية ، والأقمار اللائحة من قلوبهم الصافية كلفوا نفوسهم بالعبودية. إما بأنفسهم ، وإما بإلهام الواردات القدسية وإلقاء اللوائح الأنسية طلبا لرضوان الله ، فاخترع كل واحد منهم طريقة وشريعة مخصوصة لم يجئ بها الرسول المعلوم فى العامة من عند الله ليعبد بها الحق ، فلما وافقت الحكمة والمصلحة الظاهرة فيها الحكم الإلهى فى الوضع المشروع الإلهى اعتبرها الله اعتبار ما شرعه من عنده وما كتبها عليهم كما قال الله تعالى : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) [الحديد : ٢٧] ولما فتح الله بينهم وبين قلوبهم باب العناية والرحمة من حيث لا يشعرون أوقع فى قلوبهم تعظيم ما شرعوه فيها. يطلبون بذلك رضوان الله فلذلك اعتبرها اعتبار ما شرعه عنده ولهذا قال تعالى : (فأتينا الذين آمنوا منهم)[الحديد : ٢٧] أى من المقلدين إياهم فى تلك النواميس المشروعة والأديان المخترعة الموضوعة (وكثير منهم فاسقون) [الحديد : ٢٧] أى خارجون عن الانقياد إليها والقيام بحقها.

قال الشيخ رحمه الله فى الفتوحات فى الباب الستين ومائة : ومن هذا الباب السياسة الحكمية لمصالح العالم التى لم يأت بها ملائكة الإلهام واللَّممات على قلوب علماء الزمان وحكماء الوقت . فيلقونها أفكارهم لأعلى أسرارهم فيضعونها ويحملون الناس عليها. والملوك وما فيها شئ من الشرك. فهذه هى الرسالة الملكية التى فيها مصالح العالم فى الدنيا ، وهى البدع الحسنة التى أثنى الله على من رعاها حق رعايتها ابتغاء رضوان الله ا . هـ.

فأهل الفترات حينئذ كانوا على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الخواص : وهم الذين اخترعوها وحملوا الناس عليها.

القسم الثانى : العوام : وهم الذين قلدوهم فيها ورعوها حق رعايتها بالانقياد إليها والعمل بمقتضاها ابتغاء رضوان الله تعالى.

القسم الثالث : الخارجون عن الانقياد إليها والقيام بحقها.

فلهذا ما حكم أهل السنة والجماعة على أحد من أهل الفترات الخالية عن الشرائع الإلهية النبوية بأنهم أصحاب النار ، بل ذهبوا إلى أنه لا تعذيب لهم لعدم مجئ الرسول إليهم. كما قال تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا).

واعلم أن أئمة أهل السنة من أهل الكلام والأصول اتفقوا على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا. ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام قال الله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فاستدلوا بهذه الآيات على أنه لا تعذيب قبل البعثة. وردوا المعتزلة بها على من خالفهم ومن وافقهم فى تحكيم العقل. وهذا مبنى على مسألة الاختلاف بين أهل السنة وأهل الاعتزال والبدعة فى شكر المنعم هل هو واجب عقلا أم لا ؟

فمذهب أهل السنة إن شكر المنعم ليس بواجب عقلا. بل بالسمع. ومذهب أهل الاعتزال : إنه واجب عقلا قال الإمام فخر الدين الرازى فى المحصول : شكر المنعم لا يجب عقلا خلافا للمعتزلة لنا. أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة فلا وجوب.

وقال الكيا الهراسى فى تعليقه فى الأصول فى مسألة شكر المنعم : اعلم أن

الذى استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوى الشرع المنقول ولا يتلقى حكم قضيات العقول .فأما ماعدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة والكرامية والمعتزلة وغيرهم. فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام منقسمة : فمنها ما يتلقى من الشرع المنقول ، ومنها ما يلتقى من قضيات العقول.

قال : وأما نحن فنقول : لا يجب شئ قبل مجئ الرسول ، فإذا ظهر وأقام المعجزة تمكن العاقل من النظر ، فنقول : لا تعلم أول الواجبات إلا بالسمع[1] انتهى كلامه.

وذلك لأن الوجوب إنما يتوجه على العبد بعداء لا الحق له بحكم من الأحكام على لسان الرسول وهذا لا يتصور فى الفترة قبل مجئ الرسول فلا وجوب ولا عذاب ، فمن مات فى الفترة ، وزمان الجاهلية قبل البعثة المحمدية بالبينة والحجة الإلهية يموت ناجيا ، وهذا مذهب أهل السنة.

فمن قال فيه إنه فى النار ، فهو من أهل الاعتزال والبدعة ، لأنه خالف أهل الحق من أهل السنة ، وهو مبنى على وجوب شكر المنعم عقلا. وهذا ليس كذلك لعدم توجه الوجوب على أحد فى الزمن الخالى عن الشرع الثابت على لسان الرسول. فلا تعذيب قبل مجئ الرسول كما قال تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا).

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم فى تفسيرهما عن قتادة فى قوله تعالى: (وما

---

(١) الشرع أحكام والأحكام لا يوجبها العقل لأنها تجب بالشرع والعقل ليس له إلا استقبال النص عن الله ورسوله ومحاولة الفهم فى حدود ما تقضى به اللغة والقواعد الشرعية المجمع عليها والمدلل عليها من الشرع.

كنا معذبين حتى نبعث رسولا) قال : (إن الله تعالى ليس بمعذب أحدا يسبق إليه من الله خبر ويأتيه من الله بينة) ولكن الأوفق للحديث المذكور فى حق أهل الفترة والأطفال والصغار والمجانين إن تنجر حالهم يوم القيامة إلى بعث الرسول إليهم ودعوته إياهم فإن آمنوا أمِنوا. وإن خالفوا أدخلوا النار كما ذكر فى أحوال أهل الفترة فافهم واعلم أن حال أبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – فى حكم العقل لا يخلو عن أمرين. أى أنهما إما من أهل الفترة والجاهلية ، وإما من الأمة المسلمة فى دين إبراهيم – عليه السلام –.

فإن كانا من أهل الفترة فهما من أهل النجاة لقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وإن لم يكونا من الفترة فلا يرسل الله إليهما غير ابنهما محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – لاختصاصه بهما فى الدنيا ، بحسب الأبوة والأمومة ولاختصاص الدعوة فى ذرية إبراهيم – عليه السلام – من نسل اسماعيل – عليه السلام – فى الدنيا به ، وابتعاثه فيهم فى الدنيا. فإن الله تعالى كما أرسله فى الدنيا إليهما من ظهوره بهما وبعثه فى ذرية إبراهيم – عليه السلام – يرسله إليهما فى الآخرة كما قال إبراهيم عليه السلام (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) [البقرة : ١٢٩]الآية.

وإن كانا من الأمة المسلمة كما هو ظاهر من الآيات الإلهية والشهادة الربانية . فهو المدعى فظهرت سعادتهما فى الأزل باصطفاه الله تعالى إياهما من جميع المخلوقات ليكونا أبوين لمن جعله رحمة للعالمين.وظهر من سعادتهما فى الدنيا. امتيازهما عن سائر الموجودات من جهة ظهوره فى عالم الشهادة بالصورة الكلية الكمالية المحمدية منهما وتظهر سعادتهما فى الآخرة بشهودهما ابنهما فى

المقام المحمود عند الحوض المورود بالشفاعة العظمى والرحمة الكافة الكبرى ونجاتهما فى عاقبة أمرهما[1].

---

(١) أخرج أبو نعيم فى دلائل النبوة بإسناد فيه ضعف من طريق الزهرى عن أم سماعة بنت أبى رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فى علتها التى ماتت فيها.

ومحمد غلام يقع له خمس سنوات عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

بارك فيك الله من غلام — يا ابن الذى من حومة الحمام

نجا بعون الملك المنعام — فودى غداة الضرب بالسهام

بمائة من إبل سوام — إن صح ما أبصرت فى المنام

فأنت مبعوث إلى الأنام — من عند ذى الجلال والإكرام

تبعث فى الحل وفى الحـ — ـرام تبعث بالتحنيف والإسلام

دين أبيك البر ابراهام — فالله أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت : كل حى ميت ، وكل جديد بال ،وكل كبير يفنى ، وأنا ميتة ، وذكرى باق ، وقد تركت خيرا وولدت طهرا. ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك.

نبكى الفتاة البرة الأمينة — ذات الجمال العفة الرزينة

زوجة عبدالله والقرينة — أم نبى الله ذى السكينة

وصاحب المنبر بالمدينة — صارت لدى حفرها رهينة

إن قول السيدة آمنة – رضى الله تعالى عنها – صريح فى النهى عن موالاة الأصنام مع الأقوام ، وهى تعترف بدين إبراهيم – عليه السلام – كما تتنبأ ببعث ولدها فى العالمين من عند ذى الجلال والإكرام الذى يبعثه بالإسلام دين الرحمة.وهذا الكلام كله مناف للشرك والضلال . أو ليس أبوه الذى دعته المرأة ليأتيها فقال لها : أما الحرام فالممات دونه ؟!!

المطلع العاشر

الـــــوصيـــــة

اعلم أن مما وجب على العبد التقى ، والمؤمن الورع النقى ، التوجـه إلى الله بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ، وأن ينزه نفسه عن الصفات النفسانية ، والأخلاق الطبيعية التى تقتضى توجهه إلى عالم الخلق . ويخلى قلبه عن الخـواطر الكونية واللوائح الغيرية التى توجب احتجابه عن حضرة الجمـع والرفـق وأن يطلب من الله تعالى أولا : الفهم فى الكتاب والسنة أى بعد إعراضه عن الخلـق وتوجهه إلى الحق ، وأن يطلب الفهم من الله بالتنزه عـن الصـفات الكونيـة والتحلى بالصفات الإلهية كما فى الكتاب الذى أنزله على عبده ورسوله والكلام الذى صدر من لسانه فإنه – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)[1].

أى أهل القرآن فى الفهم فيه عن الله بإعطاء الله لهم فيه الفهم بالتجلى الإلهى فى قلوبهم وبواطنهم. هم أهل الله وخاصته. فيحكم بالفهم الذى رزقـه الله فى كتابه. والفهم الذى رزقه الله فى حديث رسوله وراثة حقيقية. وهى الفهم عـن الله تعالى فى القرآن والحديث ، فإن الحديث مثل القرآن فى النص. فإنه – صلى الله عليه وآله وسلم – ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى وهو الفهـم

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٣ / ٣٨).

عن الله فى قلبه – صلى الله عليه وآله وسلم – فالذى يعطيه الفهم عن الله فى القرآن والحديث فى حق أبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – هو الإسلام والتوحيد ، فإن الله تعالى أخبر فى القرآن عن دعوة إبراهيم عليه السلام فى حق ذريته ، وبقاء ملته فيهم وبعث الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – فيهم منهم بالكتاب والحكمة وشهد ببقاء كلمة التوحيد فى ذريته إلى مبعث الرسول فقبل الله دعوته. فأبقى ملته فى ذريته. وأثبت ذريته عليها ولاسيما ذريته الذين كان – صلى الله عليه وآله وسلم – ينقلب فى صورهم. وينقل من أصلابهم الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة إلى ظهور الصورة الحسية البشرية ، والصورة الكلية المحمدية الجامعة مترقيا فى الصفاء والتهذيب إلى أن وصل إلى أبويه اللذين اقتضت حالهما كمال نشأته العنصرية البشرية وظهوره على الصورة الكمالية المحمدية التى أرادها الحق تعالى وتوقف عليها نزول الكتاب أى القرآن الذى يتضمن المعرفة التامة والعبودية الكاملة كما قال – صلى الله عليه وآله وسلم – : (لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا).

وأما ماعدا الفهم عن الله فى الكتاب والسنة بالتوجه إلى الأمور الحسية والأحوال الخسيسة واستعمال الأنظار الفكرية والأدلة العقلية على مقتضى الخواطر البشرية والإلقاءات الشيطانية فضلال وحرمان وطرد من جناب الحق وخذلان.

ثم اعلم أن إبراهيم – عليه السلام – صاحب الشريعة الخاصة والملة العامة له تخلل فى الحضرات الأسمائية وتخلق بالصفات الإلهية فى المراتب الغيبية

متوجه لوجه الله الجامع لجميع الوجوه الأسمائية معرض عن الوجوه المظهرية فى العوالم العلوية والسفلية متحقق بالعبودية الكلية التى هى الغرض من الشرائع الإلهية فلهذا طلب من الله فى ندائه ثبوته على الإسلام والانقياد إلى الله وطلب ثبوت ذريته عليه وبقاءه فيهم إلى مبعث الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – بالكتاب والحكمة . فإن بيت إبراهيم عليه السلام بيت النبوة فى ذريته هم آباؤه – صلى الله عليه وآله وسلم – الذين ظهروا من صلبه بصورة سره ونشأوا فى حرم خلته بالبان أحكام نبوته وتحققوا بالصفات الخليلية والملة الحنفية هم محامل للصورة البشرية المحمدية لا قابلية فيهم بعد تحققهم بحقيقة الإسلام والانقياد إلى الله وتقربهم من الله تعالى أن يرجعوا إلى الصفات البشرية التى تقتضى ميلهم إلى الإلقاءات الشيطانية والخواطر النفسانية. وليس للشيطان عليهم سلطان يغويهم كما أخبر الحق تعالى فى الكتاب العزيز لنا عن ذلك بقوله: (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان)[الحجر : ٤٢].

ولاشك أن إبراهيم – عليه السلام – وذريته الذين هم آباؤه – صلى الله عليه وآله وسلم – الذى دعا إبراهيم فى حقهم ثبوتهم على الإسلام وبقاءه فيهم إلى مبعث الرسول وقبل الله دعاءه وبعث رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – الذى طلبه منه فيهم منهم كما قال عليه الصلاة والسلام– (أنا دعوة أبى إبراهيم).

فهم عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان فى إضلالهم فى الإشراك فإنهم محفوظون بحفظ الله إياهم فى بيت ملة الخليل وحرم الرسول والانقياد والعبودية فى ذواتهم وبوعد الله بذلك فإنه صادق الوعد.

فإذا ثبت ذلك عندك وعرفت معنى الإسلام والانقياد ودعوة إبراهيم به وطلبه من الله أن يثبتهم على الإسلام ويبقيه فيهم إلى مبعث الرسول فيهم منهم. وعرفت بعثه منهم بالكتاب والملة لا تحتاج أن تستدل بالآيات والأحاديث على بقاء ملة إبراهيم فى ذريته وثبوتهم عليها وكون آبائه – صلى الله عليه وآله وسلم – كلهم إلى إبراهيم – عليه السلام – والتوحيد ، وبعث الرسول من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم عليه السلام بعد إخبار الله تعالى عن دعوة إبراهيم ، وإخباره بإبقاء كلمة التوحيد فى ذريته إلى مبعث الرسول لعدم ثبوت الشرك منهم بالنص من الكتاب والسنة الذى يعارض ذلك الإخبار فإنه لا نص فى ذلك فإنه بعض الظن من بعض الجهلة الذين لا فهم لهم من الله فى الكتاب والسنة لأن دين إبراهيم – عليه السلام – باق فى ذريته من المسلمين إلى مبعث الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم –.

فلذلك وفقه الله تعالى فى ابتداء أمره لعبادته بملة إبراهيم – عليه السلام – حتى جاء الملك من عند الله تعالى بالرسالة والنبوة.

قال الشيخ – رضى الله تعالى عنه – فى الفتوحات فى الباب الخامس والأربعين : ولما كانت حالته – صلى الله عليه وآله وسلم– فى ابتداء أمره أن الله وفقه لعبادته بملة إبراهيم الخليل – عليه السلام – وكان يخلو بغار حراء يتحنف فيه عناية من الله سبحانه به – صلى الله عليه وآله وسلم– إلى أن فجأه الحق فجاءه الملك فسلم عليه بالرسالة وعرفه بنبوته فلما تقررت عنده أرسل إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا انتهى كلامه.

فحينئذ مازالت ملة إبراهيم – عليه السلام – ثابتة ومازالت أمة من

ذريته مسلمة من لدن دعوة إبراهيم – عليه السلام – إلى بعثة الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – بالرسالة والنبوة عند الأربعين من عمره. فحينئذ كان – صلى الله عليه وآله وسلم – بعثته من الأمة المسلمة من ذريته. ولهذا قال تعالى : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) لأنه كان يتعبد على ملة إبراهيم فختمت به – صلى الله عليه وآله وسلم – ملة إبراهيم – عليه السلام – عند بعثته من حيث تعبده بملة إبراهيم – عليه السلام – من حيث كونها ملة إبراهيم عليه السلام وبعد بعثته شرعت له ملة إبراهيم اتباعا لملته لا لإبراهيم فتعبد بها من حيث بقيت ذريته فى ملته. وملته فى ذريته من الأمة المسلمة. وختمت ملته بالرسول الذى طلبه من ربه أن يبعثه من الأمة المسلمة من ذريته. وجعله قبل بعثته منهم لأنه منهم نسبا وملة، فشرف الله إبراهيم – عليه السلام – بأن ختم ملته فى ذريته برسولنا – صلى الله عليه وآله وسلم – ومن حيث كونه قبل البعثة من ملته ومن حين انبعاثه فى ملته وإحيائه ملته. ومن حيث بعثته فيها بالكتاب المبين والحكمة الإلهية التى كانت فى قوة دين إبراهيم – عليه السلام – فأنتج إسلام إبراهيم. أى انقياده وانقياد ذريته وملته بالكتاب الذى يتضمن المعرفة الربانية والعبادة الإلهية على ما تطلبه حضرة الربوبية ، وتقتضيه رتبة العبودية الكاملة والحكمة التى تعطى وضع الأشياء فى مواضعها وإجراء الأمور على سبيلها وبالله التوفيق.

التتميم للوصية :

اعلم أن ما تقتضيه حضرة الألوهية من الإفاضة من حضرات الكرم والجود وخزائن الغيب والوجود على مظاهر عالم الإمكان. وصدر بعثة الحدثان

لأجل الشهود والإفاضة والعرفان وأجل الجلاء الكلى والفتق الجمعى الألى وما تقتضيه حضرة الصورة الكلية الكمالية المحمدية من الطهارة الذاتية والنزاهة الكلية ، والإحاطة الجمعية والمظهرية الكلية للصورة الإلهية فى الحضرة الحسية الشهادية وتقتضيه الحكمة البالغة والإرادة الكلية الذاتية التى تعلقت بإيجاد الصورة الكلية الكمالية الإلهية أن يكون جميع آبائه – صلى الله عليه وآله وسلم – من آدم عليه السلام إلى أبيه عبدالله مهذبين منزهين عن الطبيعة والأوصاف الردية السفلية التى تخالف الطهارة الذاتية المحمدية والنزاهة الأصلية الأحمدية مستعدين لقبول روح ذلك النور الأبهر. والضياء الأظهر الأنور لا ينفخ روح تلك الصورة المحمدية فى كل واحد منهم إلا بحسب المناسبة الذاتية والتسوية الإلهية التى تقتضى تعينه – صلى الله عليه وآله وسلم – فيه وعبوره عنه. ولا يقبل كل واحد منهم ذلك الروح الإلهية والنور الأزلى الجمعى إلا بالطهارة التى فى ذاته والمناسبة الذاتية فى حقيقته وصورته.

فإن الشرائع الإلهية والنبوات الشرعية إنما نزلت على الحكمة ونطقت بالمناسبة كما قال تعالى: (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات)[النور : ٢٦] فكانت الآباء المعينة والأجداد المعهودة المقدرة له – صلى الله عليه وآله وسلم – كالأسباب والوسائط لتلك الصورة الكلية المحمدية وحصولها على تلك الهيئة الكمالية فمازال – صلى الله عليه وآله وسلم – من لدن آدم – عليه السلام – ينقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة على مقتضى الحكمة الإلهية والطهارة الأصلية باستكمال التسوية فى تلك المادة إلى أن كملت

التسوية فى المادة المحمدية التى تعينت فى أصلاب آبائه لحصول الصورة المحمدية البشرية على الوجه الذى أراده الحق تعالى أزلا منه فى صلب أبيه عبدالله المتصف بالعبودية المحضة التى تقتضى فناء صفات العبد وذاته ، وتقتضى ظهور الصورة الإلهية الأسمائية وتجليها منها فما تعينت تلك المادة المحمدية والمضغة العنصرية البشرية فى أبويه إلا بحسب طهارة روحهما وأخلاقهما وصفاتهما وما ولد بينهما إلا بحسب طبيعتهما وجسمانيتهما فإنه كان بضعة منى ، فمن آمن بالله ورسوله ومبعثه بالصورة الطبيعية الطاهرة والهيئة الكلية الكمالية لا ينسبه إلا إلى النسب الطاهر.

ومن أضاف إليهما أمرا يخالف رتبته العلية وطهارته الذاتية ، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة) [الأحزاب : ٥٧].

سئل القاضى أبو بكر بن العربى أحد أئمة المالكية : عن رجل قال : إن آباء النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – فى النار ، فأجاب : بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة) قال : ولا أذى أعظم من أن يقال فى أبيه : إنه فى النار.

وقال الإمام موفق الدين بن قدامة الحنبلى فى المقنع : ومن قذف أحد أجداد النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – قتل مسلما كان أو كافرا.

وفى قول آخر : يقتل كافرا. فوجب على السلطان العادل والإمام التقى المعتدل الذى يحمى الشريعة الكلية المحمدية ويحارب على الملة الغراء الحنيفية أن يزل الفساد من الأرض وأى فساد أعظم فى الدين والوجود من

إضافة النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى عرق المشرك وإضافة الشرك إلى من منه طلعت شمس التوحيد والإيمان ، ومنه أشرقت أنوار الرحمة على أعيان الممكنات فى بقعة الإمكان.

وبالله التوفيق ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهى كتاب مطالع النور السنى للشيخ عبدالله البوسنوى. غفر الله له آمين

* * * * * * * * * * * * * * * * * *

تعقيب على الكتاب

حرام القول : بأن أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم مشركين

لقد رأيت من تمام الفائدة من الكتاب أن أوضح هذا الأمر الذى كتبه المؤلف مختصرا[1]. فأقول :

قال الإمام جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى :

الحكم فى أبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – أنهما ناجيان وليسا فى النار.

صرح بذلك جمع من العلماء.

ثم قال : إنهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ، وأنه لا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام ، وأنه إذا قتل يضمن بالدية والكفارة – نص عليه الإمام الشافعى – رضى الله تعالى عنه – وسائر الأصحاب – بل زاد بعض الأصحاب ، وقال : إنه يجب فى قتله القصاص ولكن الصحيح خلافه. لأنه ليس بمسلم حقيقى . وشرط القصاص المكافأة. وقد علل بعض الفقهاء

---

(١) كتبه من قدم للكتاب وعلق عليه زيادة فى الإيضاح.

كونه إذا مات لا يعذب بأنه على أصل الفطرة ولم يقع منه عناد ولا جاءه رسول فكذبه.

ثم يقول : سئل شيخنا – شيخ الإسلام – شرف الدين المناوى عن والد النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – هل هو فى النار ؟ فزأر فى السائل زأرة شديدة. فقال له السائل : هل ثبت إسلامه؟ فقال : إنه مات فى الفترة ولا تعذيب قبل البعث..

ونقله سبط ابن الجوزى فى كتاب مرآة الزمان : عن جماعة. فإنه حكى كلام جده على حديث إحياء أمه – صلى الله عليه وآله وسلم – ثم قال ما نصه : وقال قوم قد قال الله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما ؟ وجزم به الأبى فى شرح مسلم ا . هـ

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه من طريق يحيى بن عبدالملك بن أبى غنية قال : حدثنا نوفل بن الفران وكان عاملا لعمر بن عبدالعزيز – رضى الله تعالى عنه – قال : كان رجل من كتاب الشام مأمونا عندهم استعمل رجلا على كورة الشام وكان أبوه يزن بالمنانية – المجوسية – فبلغ ذلك عمر بن عبدالعزيز فقال : ما حملك على أن تستعمل رجلا على كورة من كور المسلمين كان أبوه يزن بالمنانية ، قال : أصلح الله أمير المؤمنين وما على كان أبو النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – مشركا.

فقال عمر : آه ثم سكت. ثم رفع رأسه فقال : أأقطع لسانه ؟ أأقطع يده ورجله ؟ أأضرب عنقه ؟ ثم قال : لا تلى لى شيئا ما بقيت . أ.هـ

وقال القاضى أبو بكر بن العربى أحد أئمة المالكية وصاحب التفسير عن رجل قال : إن أبا النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فى النار فأجاب : بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة) قال : ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه : إنه فى النار.

وقال السهيلى فى الروض الأنف : بعد إيراده حديث مسلم : وليس لنا نحن أن نقول ذلك فى أبويه - صلى الله عليه وآله وسلم - لقوله : (لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات) وقال تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله).

وروى البيهقى فى شعب الإيمان بسنده عن طلق بن على قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : (لو أدركت والدى أو أحدهما وأنا فى صلاة العشاء وقد قرأت فيها بفاتحة الكتاب تنادى يا محمد. لأجبتها : لبيك).

وقال الإمام السيوطى فى الحاوى (٢/ ٢٣٣) قال الإمام موفق الدين ابن قدامة الحنبلى فى المقنع : ومن قذف أم النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - قتل مسلما كان أو كافرا.

وقال الإمام ابن حجر الهيتمى فى فتاوية : وإياك أن يسبق لسانك إلى غير ما قلنا - يعنى من النجاة - فتكون ممن آذى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فتستحق اللعنة بنص القرآن كما قدمناه عن أبى بكر بن العربى ، وإذا كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لما اشتكى إليه عكرمة ابن أبى جهل قول الناس فى أبى جهل (لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات) كذا مع كونه أبا جهل فما ظنك بمن يتكلم فى آبائه - صلى الله عليه وآله وسلم -

وهو ما قرره ابن حجر أيضا فى كتابه (النعمة الكبرى) وقال الباجى فى شرح الموطأ : قال بعض العلماء : أنه لا يجوز أن يؤذى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – بفعل مباح ولا غيره ، وأما غيره – أى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – من الناس فيجوز أن يؤذى بمباح وليس لنا المنع منه ولا يأثم فاعل المباح وإن وصل بذلك إلى غيره ، ولهذا قال النبى – صلى الله عليه وآله وسلم–: (إذا أراد على بن أبى طالب أن يتزوج ابنة أبى جهل وإنما فاطمة بضعة منى وإنى لا أحرم ما أحل الله ولكن والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدا).

فجعل حكمهما فى ذلك أنه لا يجوز أن يؤذى بمباح. واحتج على ذلك بقوله تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله) الآيتين.

فشرط على المؤمنين أن لا يؤذوا بغير ما اكتسبوا وأطلق الأذى فى خاصة النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – من غير شرط ا. هـ [ذكره السيوطى فى الحاوى ٢ / ٢٣١ ، ٢٣٢].

وممن فوضوا الأمر لله تعالى وتوقفوا الشيخ تاج الدين الفاكهانى فى كتابه (الفجر المنير) فقال : (الله أعلم بحال أبويه).

وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى فى كتابه (مورد الصادى فى مولد الهادى) بعد إيراد حديث الإحياء :

حبا الله النبى مزيد فضل ... على فضل وكان به رءوفا
فأحيا أمه وكذا أبوه ... لإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

ومن أراد المزيد فليطالع كتب :

١) الشفا بأحوال المصطفى للقاضى عياض.

٢) والصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية.

٣) والسيف المسلول على من سب الرسول للإمام السبكى وفتاويه.

٤) والحاوى للفتاوى لجلال الدين السيوطى والمواقف لعبد القادر الجزائرى.

٥) وشرح مولد ابن حجر للسيد أحمد بن عبدالغنى بن عمر عابدين الدمشقى.

وغيرهم ممن يشددون فى النهى عن ذكر أبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – بسوء لأن فى هذا إيذاء لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وهو أمر منهى عنه بالكتاب والسنة.

والمعنى الذى نفهمه ونؤمن به أن أبوى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – ناجيان لأمرين :

الأول : كونهما من الأمة المسلمة من ذرية سيدنا إبراهيم عليه السلام (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) كما أنهما من أهل الفترة وأهل الفترة ناجون كما ذكر القرآن والسنة كما أورده المؤلف فى الكتاب.

والثانى : قد من الله تعالى علىّ وعلى أخ فاضل برؤية أم النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – وهى ترتدى ثوب السعادة فى الدار الآخرة. والرؤيتان سجلتهما فى كتابى (فضائل النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – ومعرفة قدره).

لذلك أنصح وألح فى النصيحة لإخوانى المسلمين الذين استجابوا لله وللرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – أن يلتزموا الأدب مع الله ورسوله فلا يؤذوا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فى أبويه ، رزقنا الله جميعا حبه ومعرفة قدر نبينا سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – .

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
والحمد لله رب العالمين

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

فهرس

